مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلة يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة في كل شهرين

السنة الأولى - العدد الثاني - أكتوبر ٢٠٢٢م

عقود الغَرَب في معارضة لامية العَرَب

العربية بَيْنَ الماضي المُغدق والحاضر المُقلق

العلاقة بين اللفظ والمعنى: آراء ومذاهب

إعجاز البيان في دراما القرآن

مكتبة الأسكوريال حافظة كتب التراث العربي

نصوص الرحلات الأندلسية من مصادر المعجم التاريخي

صورة الغلاف: نصب المقاومة في مدينة خورفكان - الشارقة

نسخة بي دي إف (PDF)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾

[فصلت ٤٤]

صدق الله العظيم

"اللغة العربية هي انتماؤنا لهذا الدين القيّم، اللغة العربية هي مخزون تاريخنا وثقافتنا وعلمنا، اللغة العربية هي التي تثبت إيماننا بديننا، واللغة العربية هي التي توحدنا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب بلسانٍ عربي مبين."

صَاحِبُ السُّمُوِّ الشَّيْخُ الدُّكْتُور سُلْطَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ القَاسِمِيُّ

عُضْوُ المَجْلِسِ الأَعْلَى لِلاتِّحَادِ حَاكِمُ الشَّارِقَة

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السنة الأولى - العدد الثاني - أكتوبر ٢٠٢٢م

رئيس التحرير

د. امحمد صافي المستغانمي

أعضاء التحرير

أ.د. بن عيسى باطاهر

د. فكري النجار

أ. شيماء عبد الله

أ. هبة هشام

منسق العلاقات العامة

أ. ماجد الهولي

أ. رشا أبو جهين

التصميم والإخراج

محمد خيّال

المراسلات

هاتف: 400 60 51 6 971+

فاكس: 410 60 51 6 971+

ص.ب: الشارقة، 1973

shj_ala

Sharjah.ala

www.alashj.ae

info@alashj.ae

مجمع اللغة العربية بالشارقة

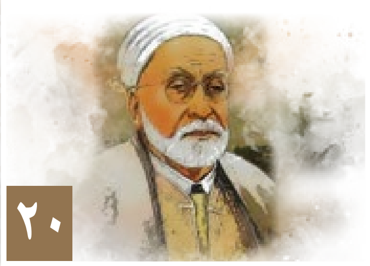

المحتويات

افتتاحية العدد ٦

«المجمع» يشارك في معرض عمّان الدولي للكتاب ١٢

إطلالةٌ على الجُهود اللّغويّة في جَمْعيَّة «بالعربيّة - بيروت» ١٦

«المجمع» يناقش تعزيز اللغة العربية لدى طلاب المدارس ١٨

أَثَرُ التَّصحيفِ في التَّأْريخِ المعْجَميّ ٢٠

إعجاز البيان في دراما القُرْآن ٢٤

الاسْتِلَابُ اللُّغَوِيُّ ٣٠

الخروجُ من وادي عبقر ٣٤

العربيةُ بَيْنَ الماضي المُغدق والحاضر المُقلق ٣٦

العلاقة بين اللفظ والمعنى: آراء ومذاهب ٤٤

المحتويات

جدلية العلاقة بين الروائي واللغة ٥٠

سلطان العلم والعلماء ٥٦

شيطان الكتابة وألاعيبه ٥٨

عقود الغَرَب في معارضة لامية العَرَب ٦٢

ديوان تَجاعيدِ المَسَافَةِ أُنْمُوذَجًا ٧٠

مكتبة الأسكوريال حافظة كتب التراث العربي ٧٦

نُصوصُ الرِّحْلَاتِ الأَنْدَلُسِيَّةِ مِنْ مَصَادِرِ المُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ ٨٢

وَحيُ الوَفَاءِ ٩٠

رسالة إلى رئيس التحرير ٩٤

زُمرُّدَةٌ لتَعَبِ العالَم ٩٥

غلاف العدد

السنة الأولى - العدد الثاني - أكتوبر ٢٠٢٢ م

مجلة يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة في كل شهرين

مجلة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني Magazine@alashj.ae

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة امسح رمز الاستجابة السريع بكاميرا الهاتف

فصاحة المثقّف وثقافة الفصيح

فصاحة العلَّامة أبي مهدي عيسى بن محمد الثّعالبيّ إطلالة على كتابه البديع: كنزُ الرّواة المجموع من دُرر المُجاز ويواقيت المسموع

د/ امحمد صافي المستغانمي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

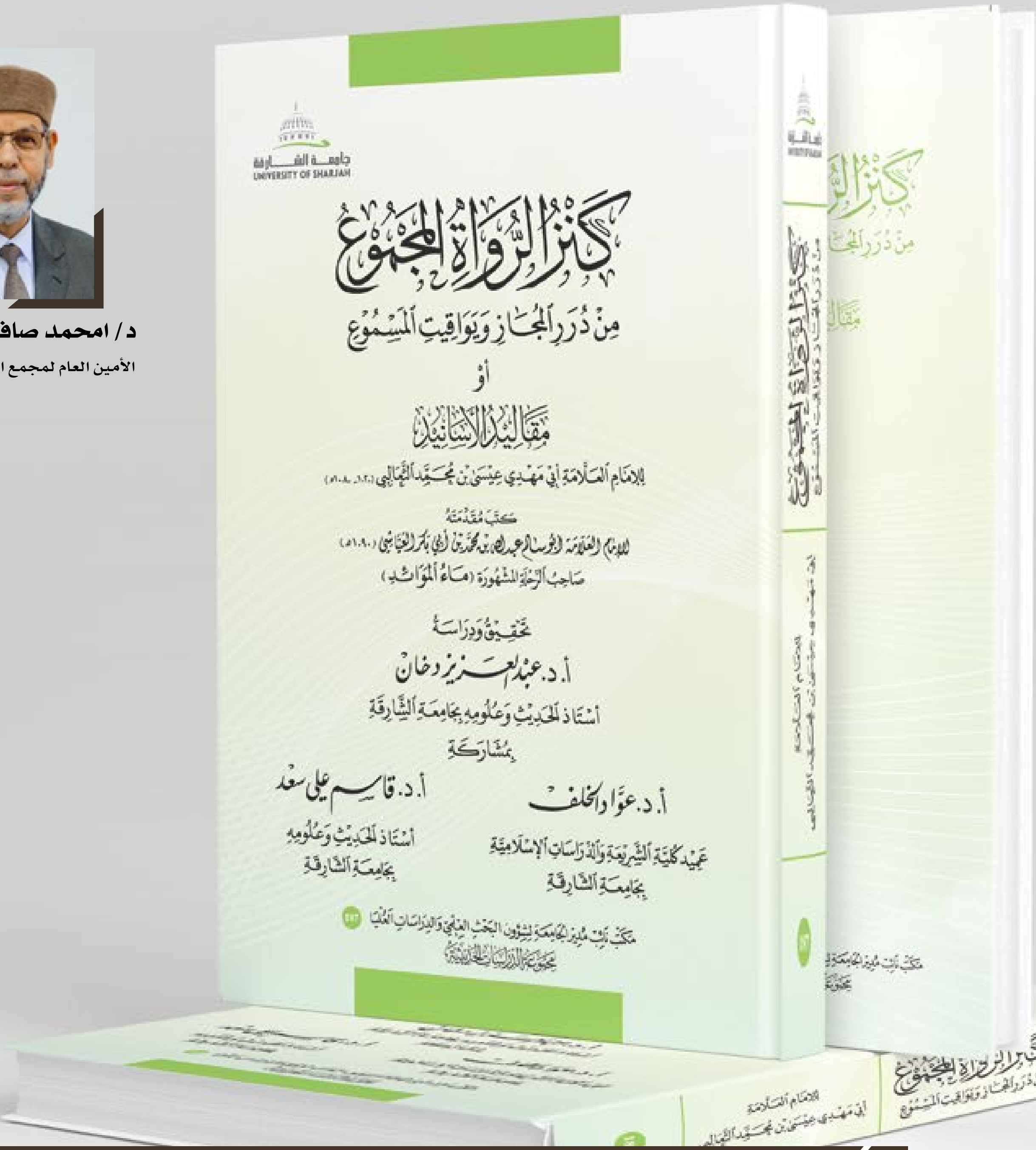

أثناء مراجعتي لبعض مقالات العدد الثّاني من مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، كنت أجيلُ فكري وأعرِضُ على خاطري بعض الفِكَر لأكتب افتتاحيّة تناسبُ العدد الجديد، وتزاحمت في ذهني الأفكار، وتضاربت في مُخيّلتي الموضوعات، وتناهزت وتسابقت، ثمّ تصارعت وتغالبت، ونالَ قصبَ السّبق موضوعٌ طالما أرّقني قديما وأسهرني حديثا.

لُبُّ لُباب هذا الموضوع ومُعتَصَرُ عُصارته ورحيقُ خُلاصته هو السّؤال الآتي: بِمَ اكتسب السّابقون الأوّلون أزِمّةَ الفصاحة؟ وكيف أسلمتهم قيادَها ولانت لهم عريكتُها؟ وما الوسائلُ التي توسّلوا بها والسُّبُلُ التي سلكوها حتّى خضع البيان بين أيديهم جثيّا، فصالوا في حلبات التّعبير، وجالوا في التّرسّل والتّصوير، وأبدعوا في المجامع والمحافل، واهتزّت بخطبهم المنابر، وسالت قرائحهم بالبيان السّاحر، والكلام الفاخر؟

ولا أظنّني وحيدا في إبداء هذا التّساؤل، فأين فصاحةُ أيِّ كاتبٍ اليوم من فصاحة الجاحظ وعبد الحميد؟ وهل يرقى بيانُ كاتب من كتّاب العصر إلى بيان ابن المقفّع وتَرَسُّل ابن العميد وبديعيّات الهمذاني ومقامات الحريريّ؟ وهل تَشْرَئِبُّ رقبةُ شاعر أو تتسامى همّةُ خطيب أن تتطلّع إلى قمم فصاحة لسان الدّين ابن الخطيب، ورسائل العتّابي وإنشاء الصّولي وديوانيّات الصّابي(1) ونُظرائهم وقُرنائهم ممّن استووا على عرش الفصاحة، وتربّعوا على ذُرى البيان، وبزّوا أقرانهم في الإبانة والتّبيين، وكتبوا كلماتهم ونقشوا مقالاتهم بحروف ذهبيّة نورانيّة على جبهة التّاريخ.

وفي تلك الآونة نفسها، كنتُ أستمتعُ بين اللّحظة وأختها، والدّقيقة وصِنوها بجماليّات أسلوب رجلٍ فذّ من أفذاذ كتّابنا الأماجد وعلمائنا الفطاحل في تاريخ أمّتنا الإسلاميّة المجيدة. وقبل الشّروع في إيضاح الفكرة وبيان الخاطرة، أقول: أَحْمَدُ الله تعالى أوّلا أن وفّقني منذ ريعان الصّبا وشرخ الفُتوّة إلى احتراف حِرفة القراءة، فأَحْبَبْتُها وعَشِقْتُها، وصاحَبْتُها وخالَلْتُها، وتقلّبتُ بين أحضان الكتب وخزائن المكتبات، أقلّبُ صفحات هذا الكتاب، وأجيلُ النّظر في ذاك، وأتلذّذُ بأشعار المُفلقين من الأدباء والشّعراء من طراز بشّار بن برد وأبي نوّاس، وتُمتِعُني تارة شاعريّةُ أبي تمّام والبُحتريّ، وتُطرِبُني أخرى إبداعاتُ دِعبل ومسلم بن الوليد، وطالما أسرني بيانُ المتنبّي الفتّانُ السّاحر، وراقني أسلوبُهُ الجزلُ القويُّ الآسِرُ، وهزّتني حِكَمُه وأمثالُه هزًّا، وأزّتني أرجازُهُ وأسجاعه أزًّا، وكنت أيضا منذ أيّام الطّلب في جامعة وهران المحروسة مفتونا إلى درجة الوَلَهِ والهُيام والصّبابة والغرام بالفصاحة الزّمخشريّة في التّفسير وبعض قرناء جار الله من عباقرة المفسّرين، وجهابذة اللّغويين، والمُحدّثين الأثبات، والفقهاء الأعلام ممّن كتبوا فجوّدوا، وشرحوا فبرعوا وأمتعوا وأبدعوا.

قلت: على كثرة ما صَحِبتُ القراطيس والكتب في المدن والفلوات، وفي ضياء النّهار ودامس الظّلمات، لم أجدني مشدوها مبهوتا، ولا مُنجذبا مشدودا إلى كتاب كما وقع لي مع كنزِ الكنوز ودُرّة الدُّرر ولُؤلؤة الزُّبُر الموسوم بـ: كنز الرّواة المجموع من دُرر المُجاز ويواقيت المسموع. تُرى ماذا عساني أَنْ أَقُولَ، وهل القولُ منّي مقبول في كتاب ليس كالكُتب وزبور ليس كالزُّبر. إنّه سِفرٌ يُسافرُ بقارئه إلى حدائق بهيجة مُعجِبة، ورياض بهيّة مُطربة، أطيارُها مُغَنِّيَةٌ صدّاحة، وأزهارها شذيّةٌ فوّاحة. يغمسُك بيانُهُ الرّفيع وتَرَسُّلُهُ البديع في أنهار من السّرور ولُجج

---

(1) هو الصابئ حقا من الصابئة لكن المذكور والمشهور والموصوف والمعروف فيما كتب وما كتب عنه بأبي إسحاق الصابي تسهيلا

❊ ديوان رسائل الصابي تحقيق إحسان ذنون الثامري

من الحبور. إنّه صبابةٌ ممّا جادت به قريحة العالم العلاّمة، المدقّق الفهّامة، الفقيه المُحدّث، المتفنّن في علوم الرّواية والدّراية الأديب الأريب الحافظ المتقن والمعلّم المُحسن أبي مهدي عيسى بن محمد الثّعالبيّ، الجزائريّ مولدا ومَحْتِدا، المكيّ إقامة وموطنا، المالكيّ تفقُّها ومذهبا، الصّوفيّ طريقة ومنهجا، الرّحّالة الطّوّافة مشرقا ومغربا.

أمضى طفولته مُتتلمذا على علماء زمانه، متعلّما من شيوخه وأقرانه، مُغترفا من أحفظ الرّواة، راويا عن صيارفة الحديث وجهابذة الفقه والأصول، يقرأ عن هذا، ويروي عن ذاك، ويقول في شغف وحبّ: هل من مزيد؟ اتّخذ العلم أنيسا، والفقه جليسا، والحديث خليلا، والتّفسير صديقا، وفوق هذا وذاك عشِقَ العربيّة حتّى فَنِيَ في حبّها، واكتوى بهواها، وتبتّل في محرابها، وكَتَبَ وصَنَّفَ، ونظمَ وألَّف، وجلس للإقراء، وأبدعَ في الإملاء، وعلّم وأفتى، وأرشد وهدى، وبعلوم الشريعة قنع واستغنى، وكفّ عن الدّنيا أنظاره، وقضى من الكتب والأسفار أوطاره، فأهداه العلمُ أبكاره، وبثّ بين يديه خواطره وأسراره.

وكتابُهُ "كنز الرّواة المجموع" هو ثبتٌ وفهرسٌ للكتب التي قرأها بالسّند المتّصل عن شيوخه. رسمَ مهيعا لكتابه، وألزم نفسه أسلوبا في كتابته، فجاء بديعًا في بابه، قشيبًا في ثيابه، فريدا في تأنّق عباراته، وبلاغة جُمله وكلماته حيث يبدأ بذكر السّند الذي قرأ به الكتاب ابتداء من شيخه الذي سمعه منه أو قرأه عليه إلى أن يصل إلى مؤلّفه أو مُمْليه أو شارحه أو مُحَشّيه. والغريبُ العجيبُ أنّه فَعَلَ هذا مع جميع الكتب والأسفار العظيمة التي وفّقه الله لقراءتها ومَنَّ عليه بدراستها، سواء درسها دراسة تنقيب وشرح وتدقيق، أو قرأها قراءةَ اطّلاع على متن الكتاب وتصحيح لألفاظه وعباراته. يبدأ بذكر عنوان الكتاب، ثم يذكر سنده إلى صاحبه، ثمّ يسرد مقدّمة أو لمعة من مقدّمة الكتاب، ويشفع ذلك بذكر نبذة من سيرة مؤلّفه ممّا زخرت به كتب التّراجم والسّير مقتطفًا زهرات جميلة من طبقات الشّافعيّة والدّرر الكامنة، وورودا فوّاحةً من شذرات الذّهب والدّيباج المذهّب، مُقتبسًا من كفاية المُحتاج ونَيْل الابتهاج، ذاكرا لطائف ونكتا عُرِفَ بها صاحب الكتاب، واصفا نُتفًا من نوادر ما حدث له أو رُوِي عنه أو ارتبط بسيرته العلميّة الوضّاءة، كلّ ذلك بأبدع بيان، وأروع تصوير، وأجمل تعبير.

وهذا لعمري مُرتقًى خطير، وشأنٌ غيرُ ميسور لكلّ أحد، ومهيعٌ غيرُ مُذلّل إلا للأفراد القلائل، والجهابذة الفطاحل من أهل النّجاح والتّوفيق مِن الذين أغدق عليهم المنعم الوهّاب من فيوضات سحائب علومه، ودِيَم رحماته ومُعصِرات بركاته سبحانه وتعالى.

وما راقني في هذا السِّفر العظيم وهالني، وما شاقني منه وراعني، هو وفاءُ العلاّمة أبي مهدي لشيوخه وأشياخ شيوخه، فإنّه كان يُترجِمُ لهم باحترام وتوقير، وينعَتُ جِدَّهم وتشميرهم لنيل المعارف وجَنْي العلوم بتبجيل، ويذكرُ شِيَمهم ومآثرَهم بتمجيد، ويُنوّهُ بانقطاعهم للعلم، وانشغالهم بالتّعليم، ويُثني على عكوفهم على أمر العبادة والتّنسّك ثناءً. استمع إليه وهو يصِفُ شيخه وأستاذه أبا الصّلاح عليّ بن عبد الواحد السِّجلماسيّ في عبارات كلّها أدبٌ وثناء، ولُطفٌ ووفاء: "إنّ أوّلَ من غَمرتني عوائدُ إفاداته، وعمّتني موائدُ إمداداته، وحَلَّى جيديَ العاطلَ بفرائد علومه، وأحيا رَبْعِيَ الماحلَ بدوافق فُهومه، وجلّى حنادسَ شكوكي بأنوار عِرفانه، وهدى حيرانَ أفكاري بواضح بيانه وتِبيانه، وفتحَ لي بحسن إلقائه مغالقَ الأصول والفروع، وقيّد لي بجيّد إملائه شواردَ المنقول والمعقول، وعادت عليَّ بركتُهُ ظاهرا وباطنا، وشملتني لَحظاتُه ظاعنا وقاطنا، سيّدي ومولاي، الإمامُ الشّهيرُ، الصّدرُ الكبير، خاتمةُ الحُفّاظ الأعلام، وواسطةُ قلادة أئمّة الإسلام، جامعُ تفاريق العلوم، ومُحيي دَارِسِ المنثور منها والمنظوم، ومُسنِدُ ما نسجت عليه منها عناكبُ الانقطاع، ومُؤنسُ ما ذهبت بأُلْفَتِهِ منها وحشةُ المضاع، ومُستخرِجُ دفائن كنوزها من خباياها، ومُوضِحُ دقائق رموزها من قضاياها، العلاّمةُ النّقّادُ، جهبذُ أهل الرّواية والإسناد، بُغيةُ الدّالج والسّاري، ونهايةُ رغبة الرّاوي والقاري، سيّدي ومولاي، أبو الصّلاح، وأبو الحسن، الشّيخُ عليّ بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله، بن يحيى، بن أبي يحيى، بن أحمد، بن السّراج، الأنصاريّ، السِّجلماسيُّ النّبعة، الجزائريّ النُّجْعَة، طيّب الله بعوارف الحُسنى تُربتَه، وأعلى في فراديس المقرّ الأسنى رُتبتَه، .....".

هذه كلمةٌ في شيخ من شيوخه، وأستاذ من أساتيذه، وإنَّ كتابه لمكتنزٌ بمثل هذا الكلام العذب الرّائق، الطّيّب الشّائق الذي يفوق العسل حلاوة، ويفيض رقّة وطلاوة، وهي شهادةٌ تحمل معانيَ، أوّلها: وفاؤُه لشيوخه، واعترافُه بأفضالهم عليه، وثانيها: صِدْقُهُ في محبّة العلماء، وثالثها: حُسْنُ ديانته، ورابعها: بيانُهُ المشرِقُ، وتعبيرُهُ المتأنّق، وتصويرُهُ البديع، وأسلوبه الرّفيع في الوصف والنّعت، وانتقاء الألفاظ وتركيبها، وتهذيب الجمل وتشذيبها.

وعندما تتصفّح هذا الكنز العظيم، يهولُك ما تقرأ من عناوين الكتب العظيمة التي قرأها، وفصول الزُّبُر التي حفظها ووعاها، وكلّها أجازه أصحابُها أو تلاميذهم برواياتها وتدريسها، وكفى به عالما حفظ القرآن بقراءاته، وما يصحبه من فنون الرّسم وعلوم القرآن المتنوّعة المتشعّبة، واكترع من الحديث الشّريف حتى ارتوى من الموطّأ والصّحيحين ومسند أحمد والسّنن الأربعة، وما يتلوها في الصّحّة من أسفار السّنن والآثار، وطالَعَ المشارق للقاضي عياض، وفتح الباري ومقدّمته، والتّنقيح لألفاظ الجامع الصّحيح، وإرشاد السّاري للقسطلاني، وأمثالها من الشّروح الوافية الكافية.

وأخذ في الفقه مختصر خليل بشرح الحطّاب، والموّاق، وابن غازي، وشروح بهرام، وغيرها من الشّروح العجيبة البديعة، ودرَسَ مختصر ابن الحاجب وجملةً من شروحه، وجَمْعَ الجوامع في الأصول وطائفةً من شروحه وحواشيه، وكفى به لغويًا ورث العربيّة عن أكابرها وأفذاذها، وأتقن دقائقها وشواردها عن جهابذتها وأبناء بَجْدَتِها، حيث درس الكتاب لسيبويه وألفيّة ابن مالك وألوانا من شروحها، وعددا من شروح تلخيص المفتاح، وشروح الجُمَل، وقِسْ على ذلك أوعيةً عظيمةً من عرائس كتب الأدب وفرائد أسفار البلاغة والعروض والعقائد وغيرها من العلوم والفنون التي قرأها وحفظها، وطالعها ووعاها، وقُرئت عليه ودرّسها لطلاّبه وأجازهم فيها.

ليس المقام في هذا المقال لتَعداد الكتب التي قرأها وأجازه شيوخه في تدريسها وتعليمها، ولكنْ أَحْبَبْتُ من خلال هذه الإطلالة الموجزة السّريعة أن أضع بين يدي القارئ العربيّ اليوم مُذكّرة أُنبِّهُ من خلالها إلى الثقافة الموسوعيّة التي كان يتميّزُ بها آباؤنا الأوّلون وأجدادنا الأقدمون. وقُلْ لي، بربّك يا رعاك الله، ماذا تنتظرُ من عالم أديب ذكيٍّ ألمعيٍّ ذي همّة متوقّدة ونفسٍ توّاقة وشغفٍ بالقراءة والعلوم، صال وجال في أمّات مصادر اللّغة والأدب والبلاغة والتّفسير والحديث والفقه والأصول وغيرها من الفنون والفروع، كيف يكونُ بيانُه، بل كيف

د/عواد الخلف

د/قاسم علي سعد

د/عبد العزيز دخان

يغتدي تِبيانُه، بل كيف يُصبحُ تعبيرُهُ، بل كيف يُمسي أسلوبه وتحبيرُه؟؟

هذا سرُّ فصاحة علمائنا الأكارم وكتّابنا الأماجد الذين ملأوا سمع الزّمان والمكان بكتاباتهم الرّصينة وإنشاءاتهم المُبينة، ومقالاتهم البديعة، وخطاباتهم الرّفيعة، ودانت لهم العربيّة وسلّمتهم مقاليدها وزمامها.

وهذا أنموذجٌ واحدٌ لعالم من علماء المسلمين، وكاتب من كتّاب العربيّة في القرن الحادي عشر الهجريّ، كتب فأطرب، وصاغ القول الجميل المُعجب، وأمثالُهُ من العلماء الكتّاب، والفقهاء والمحدّثين، الأصوليين والمفسرين عددٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ.

أشير إلى أنّ كتاب "كنز الرّواة المجموع من دُرر المُجاز ويواقيت المسموع" حقّقه ثلاثة علماء أفاضل، وباحثين فطاحل، يُشارُ إليهم بالبنان في البحث العلمي الرّصين، والأسلوب الجزل المبين، برعوا في التّدريس الجامعيّ، وتُفاخر بهم جامعة الشارقة المحروسة، والجامعة القاسميّة المباركة، وهم: الأستاذ الدكتور عبد العزيز دخّان، والأستاذ الدكتور عوّاد الخلف، والأستاذ الدكتور قاسم علي سعد، حفظهم الله تعالى ورعاهم، وسدّد على دروب العلم خطاهم، وزادهم تألّقا وتوفيقا، وأفاض عليهم من نَعْماء العلوم وفيوضات المعارف، وجزاهم خير الجزاء على هذا السِّفر الجليل الذي أهدوه إلى قرّاء العربيّة وطلاّب العلم.

والآن، انظر معي، أخي القارئ أختي القارئة، إلى أبناء جيل التّواصل الاجتماعي، وأحلاس منصّات الفايس بوك، ورُوّاد التّغريدات، وعُشّاق السنابات، ومُحبّي التيكتوكات، وهُواة الرّقميّات، تُرى كيف يكتبون؟ وهل يستطيعون التّعبير عمّا يجول في خواطرهم وهلْ يُبينون؟ وهل يُفهِمون إذ ينطقون؟ وهل يعنون ما يقولون؟ وماذا يقرأون؟ وبأيّ لغة يتراسلون ويتخاطبون؟

إنّ المأساة عظيمة، والمصيبة جسيمة، والرُّزء جَلل، والواقع يُنبئُ بالخلل، ونُذُرُ المستقبل في وجوهنا صارخة، بالشّرر قاذفةٌ، وبالصّواعق مُرسلة، وبالرّعود مُجلجلة مزلزلة.

إنّ المثقّفين العرب اليوم – إلاّ قليلا منهم – يُفطرون على صِحافِ نشرات الأخبار، ويتغذّون من قصعات الإعلام الحافل بكلّ ركيك، المُفعَم بكلّ هزيل، والمنشورُ الذي يتهافتُ عليه أبناؤُنا اليوم في موائد التّواصل الاجتماعي،

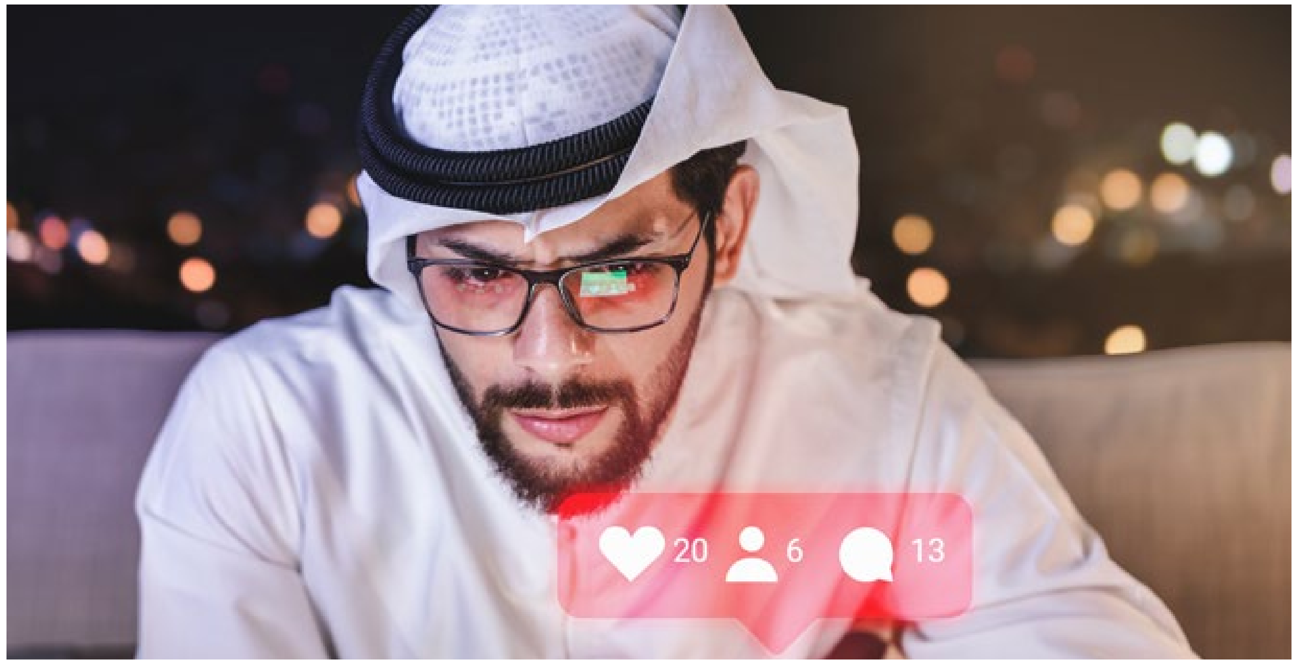

في الغالب الأغلب، لا يُسمنُ من جوع، ولا يُغنى من مَسْغَبة، ولا يروي غليلا، ولا يشفي عليلا، وهذا كلّه ينعكس على فنّ الكتابة وأسلوب التّعبير والأجناس الأدبيّة المتنوّعة لدى أبنائنا وبناتنا، ولدى كتّابنا وشعرائنا وأهل الفنون في عصرنا.

ولكي نرقى بأساليب التّعبير، وفنون الفصاحة والإفصاح، ونسمو إلى مدارج الفصحاء البلغاء، والمصاقِعَة الأَبْيِناء، فإنّ علينا جميعا أن نعود إلى المورد المعين، ونرتوي من الماء الزّلال الجاري في الأنهار، المنبجِس من عيون الجِبَالِ، والمتفجّر من الصّخور والآبار. علينا أن نقرأ العربيّة من أوعيتها العتيقة وأسفارها الخِصبة المحمّلة بالتعبير الشّائق واللفظ الرّائق. علينا أن نتّخذ البيان والتّبيين خليلا، والعقد الفريد مُسامرا، وأدَبَ الكاتب مُنادِما، والأغاني صديقا، ويتيمة الدّهر ودُمية القصر أنيسا، وأن نعقد حبال المودّة مع خريدة القصر وجريدة العصر، ونُجالس شروح ألفيّة ابن مالك، ونتبارى في حفظ المتون العلميّة، ونكترع إلى حدّ الرّيّ والتّضلُّع من دواوين الشّعراء المفلقين صباح مساء، وليلا ونهارا.

ولن يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها. هذه نصيحتي لطلاب العلم، وصيحتي لشباب المستقبل، وإنّكم يا أبناء جيل التّواصل الاجتماعي لمحظوظون بما وفّرته لكم التكنولوجيا الرّقمية من الألوف المؤلّفة من الكتب والمصادر، يجدها الواحد منكم بالضّغط على زرّ واحد في حاسوبه الشّخصيّ، وكان آباؤنا يقطعون الفلوات، ويخوضون الغمرات، ويذوقون الويلات، ويغامرون في الأسفار والرّحلات من أجل كتاب واحد بل من أجل حديث واحد. ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد.

وكتبه خادم القرآن الكريم الفقير إلى الله امحمد صافي المستغانمي.

الشارقة ٢٤ صفر ١٤٤٤هـ الموافق لـ ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٢م.

«مجمع اللغة العربية بالشّارقة»
يسلّط الضوء على أهمّ التّحدّيات والحلول في مشروع العربيّة الأكبر

تعرّف خلالها جمهور «عمّان الدّولي للكتاب» على أهميّة المعجم التاريخي للغة العربيـة

شارك مجمع اللغة العربية بالشارقة في الدورة الـ 21 من "معرض عَمّان الدولي للكتاب" الذي يستمر إلى العاشر من الشهر الجاري، في ندوة حوارية ضمن فعاليات المعرض، نظّمها المجمع الأردني للغة العربية تحت عنوان "المعجم التاريخي للغة العربية: تحدّيات وحلول".

وتحدث الدكتور امحمد صافي المستغانمي، أمين عام مجمع اللغة العربية بالشارقة، والمدير التنفيذي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية، والدكتور مأمون وجيه، المدير العلمي لمشروع المعجم، في الندوة التي أدارها الدكتور محمد السعودي، أمين عام المجمع الأردني للغة العربية.

وسلّطت الندوة أضواء على دور المعجم التاريخي للغة العربية في بلورة علم المصطلحات في شتّى الفنون والعلوم، والفوائد والمقاصد التي يحقّقها المعجم ومراحل إعداده وعدد العاملين فيه من باحثين وخبراء، وأهمّ التّحدّيات التي برزت في مسيرة العمل والحلول المُقْتَرَحَةِ لتذليل الصّعوبات وفق خطة زمنية لاستكمال إنجاز المعجم التاريخي الذي أُنجز منه سبعة عشر مجلّداً للحروف الخمسة الأولى من أحرف اللغة العربيّة.

وبيّن الدكتور امحمد صافي المستغانمي، أمين عام مجمع اللغة العربية بالشارقة والمدير التنفيذي لمشروع المعجم التاريخي الدور الكبير للدعم الذي يوليه صاحب السّمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لمشروع المعجم وأثره في سير العمل بهمّة كبيرة، إضافةً إلى حَمَاسَةِ المشاركين في إعداد المعجم انطلاقا من إدراكهم لما يمثله من قيمة حضارية وعلمية وضرورة تاريخيّة؛ لأنه سيكون ديواناً لألفاظ الأمّة وتعابيرها، وديوانا لأشعارها ونصوصها الأدبيّة واللغوية، وسجلاّ لتاريخها العريق المجيد.

وأشار أمين عام مجمع اللغة العربية بالشارقة إلى أن المعجم يغطي مختلف عصور اللغة العربية ويفيد الباحثين في معرفة الكلمات والعبارات التي كانت رائجة في كل عصر وكانت توظف في كلام العرب اليومي وفي إبداعاتهم الأدبية من شعر ونثر في مختلف حقول التأليف.

واستطرد الدكتور المستغانمي متحدثاً حول مزايا اللغة العربية وخصائصها، لافتاً إلى أنها تمتلك من المميزات ما يجعلها تحتل مكانة مرموقة بين اللغات العالمية لما تتمتع به لغة الضاد من تقنيات وخصائص توليد المفردات واشتقاق المعاني والألفاظ، بالإضافة إلى مرونتها وتنوع أوزانها وصيغها وقدرتها على التطور ومواكبة مستجدات العلوم الحديثة.

وفي سياق تقديمه للندوة أشاد الدكتور محمد السعودي، أمين عام المجمع الأردني للغة العربية، بمبادرة ومتابعة صاحب السّمو حاكم الشارقة لسير مراحل إعداد مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مشيرا إلى أن هذا المعجم سيصبح بعد استكماله مرجعا لعشّاق اللغة العربية والراغبين في التعمق في فنونها وتراثها وجذورها التراثية الغنية، وقد أصبح فعليا واقعا بعد عقود من التّنظير والتّسويف.

وبدوره تحدث الدكتور مأمون وجيه حول مزايا المعجم العديدة، وأبرزها رصده لتاريخ الكلمات العربية وتتبعه لميلاد الألفاظ من خلال البحث في مراجع تشمل أقدم النصوص، ومنها تلك التي وردت في النقوش العربية القديمة الجنوبية المكتوبة بِخَطِّ المسند، والنقوش الشمالية الثمودية، حيث يتتبع المعجم استعمالات الألفاظ القديمة وتطور دلالاتها وما طرأ عليها في جميع العصور، وكذا يحفل المعجم بنظرات مقارنة بين اللفظ العربيّ ونظائره في الساميات مع ضرب أمثلة

وشواهد لذلك.

وأشار إلى أن المعجم يمثل ضرورة حضارية لخدمة لغة الأمة وذاكرتها وضرورة لغويّة لأنّه يتتبع ألفاظ العربيّة المستعملة منذ نشأتها الأولى إلى الوقت الحاضر، وضرورة تاريخية، لأنه يؤرّخ لأحداث الأمة العربية في مختلف عصورها، منذ عصر النقوش القديمة على جدران الكهوف والجبال والمغارات مروراً بالعصر الجاهلي حتى عصر التدوين وكتابة العلوم وتوثيق الفنون والآداب والمعارف التي أَغْنَتْ لغة الضاد ومفرداتها.

وتطرق المتحدثون في الندوة إلى أربعة تحديات ضمن مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، تتمثل في كيفية الإحاطة بمخزون التراث العربي، وتحدي الاستفادة من الجانب التّكنولوجي الذي تم من خلال توثيق المراجع التي يعتمد عليها المعجم في مدوّنة لغوية تحتوي على أكثر من مليار كلمة، يسهل على الباحثين العاملين في إنجاز المعجم البحث فيها وفق منهج التحرير المعجمي.

وأشار المتحدثون أيضا إلى تحدي التكلفة المالية الكبيرة للمشروع والذِي تُجُوزَ بفضل رعاية صاحب السمو حاكم الشارقة للمشروع، وأخيرا تحدي توحيد الجهود من خلال التنسيق بين المجامع اللغوية العربيّة وجمع كلمتها في الشارقة ومصر والأردن وسوريا والجزائر وتونس والسودان وموريتانيا والمملكة السعودية وليبيا، وتشكيل فريق من اللغويين في العالم العربي والإسلامي، للقيام بمهمة التحرير المعجمي التي تسير بصورة منظمة وفقا لخطة العمل والمنهج المرسوم لها.

إطلالةٌ على الجُهودِ اللّغويّةِ في جَمْعيَّةِ «بالعربيّة - بيروت»

د/ سارة ظاهر

بالتَّنسيقِ مع مَجْمَعِ اللُّغةِ العربيّةِ بالشّارقةِ، قامَتْ جمعيّةُ (بالعربيّة) اللُّبنانيّة في بيروت بتَنْفيذِ مشروعِ اختبارِ الكِفايَةِ اللُّغويَّةِ في عددٍ من الجهاتِ الحُكوميَّةِ والخاصَّةِ في دولةِ لبنان الغالية، وهو اخْتِبارٌ مَفتوحٌ أمامَ كُلِّ مَنْ يَرغَبُ في اكْتِشافِ قُدرَتِهِ على التَّواصُلِ والكِتابَةِ باللُّغةِ العربيَّة.

ولقد حَرصَت الدّكتورَة سارة ضاهِر رئيسةُ الجَمعيَّةِ هي وَفريقَ عَمَلٍ أكاديميٍّ متميِّزٍ في خِدمَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ على إعدادِ امتحانِ الكِفايَةِ بِمُراعاةِ أعلى المُواصَفاتِ المَعمولِ بها في إعْدادِ الاخْتِباراتِ العالميَّة، واسْتَطاعَت الحصولَ على رُخصَةٍ رَسْميَّةٍ مِنْ وزارةِ التَّربيةِ اللُّبنانيَّةِ لِتَعميمِ إجراءِ الاخْتِبار، وكَشَفَ واقعُ التَّنْفيذِ أنَّ اخْتِبارَ الكفايةِ آتى أُكُلَهُ وحَقَّقَ نَتائجَ جَيِّدةً مِنْ شأنِها التَّحْفيزُ إلى دِراسَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ لدى شَريحةٍ واسعةٍ تُغَطّيها أنواعُ الاخْتِباراتِ الخَمْسَة، وهي:

- المَدرسيّ: المُوجَّهُ إلى تلاميذِ المَدارس.
- التَّعليميّ: المُوجَّهُ إلى مُعَلِّمي اللُّغةِ العربيَّة.
- ثنائيّ اللُّغة: المُوجَّهُ إلى المُوَظَّفينَ الَّذين يَستَخدِمونَ لُغَتَين في عَمَلِهم.
- المُتَخَصِّص: المُوجَّهُ إلى المُوَظَّفينَ الّذين يَستَخدِمونَ اللُّغةَ العربيَّةَ في مَهامِّهِم الوَظيفيَّة.
- العامّ: المُوَجَّهُ إلى كُلِّ مَنْ أَرادَ أَنْ يَعرِفَ مُستَواهُ في اللُّغةِ العربيَّة.

وقد أَتَتْ فكرةُ إجراءِ اخْتِبارِ الكِفايَةِ بالعربيَّةِ استِجابَةً لِحاجَةِ اللُّغَةِ العربيَّةِ الماسَّةِ إلى برنامَجِ تَنميةٍ لُغويَّةٍ شامِل، ولوُجودِ جهاتٍ مَعْنيَّةٍ طامِحَةٍ إلى قِياسِ دَرجَةِ إتْقانِ اللُّغَةِ العربيَّةِ مِنْ خِلالِ اخْتِبارٍ مُتَخَصِّص، ونظرًا لِرَغبةِ كَثيرٍ من المُرَشَّحين في خَوضِ تَجربَةِ هذا الاخْتِبارِ من العَرَبِ وغيرِ العَرَب، والحاجَةِ إلى مُؤَشِّرِ إتْقانٍ لِقِياسِ مَهاراتٍ لُغَويَّةٍ لِأَفرادٍ مُعيَّنين في مَجالِ اللُّغةِ العربيَّة. يُضافُ إلى ما تَقَدَّمَ حَثُّ البيئةِ اللُّبنانيَّةِ على تَنْميةِ مَفهومِ إتقانِ اللُّغةِ العربيَّةِ بما يَدْعَمُ المجالاتِ العلميَّةَ والثّقافيَّةَ والتّجاريَّةَ والسِّياحيَّةَ وحتّى الأدبيَّة، وفي هذا الإطارِ أَطْلَقوا اخْتِبارًا بالتَّعاوُنِ مع الجامِعَةِ الأمريكيَّةِ لِلْعُلومِ والتّكنولوجيا شَملَ العَسكريّينَ ضُبّاطًا وأفرادًا مِنَ الجَيشِ اللُّبنانيِّ، وقُوى الأَمْنِ الدّاخليِّ، والأَمْنِ العامّ اللُّبنانيِّ، والمُوظَّفينَ الإداريّينَ، وطُلّابَ العَلاقاتِ الدَّوْليَّةِ والحُقوق.

وتَعمَلُ جمعيَّةُ "بالعَربيَّة" على نَشْرِ امْتِحانِ الكِفايَةِ اللُّغويَّةِ عَربيًّا وعالميًّا عَنْ طَريقِ عَمَلِ شَراكاتٍ مع مُؤَسَّساتٍ علميَّةٍ وأكاديميَّةٍ كانَ منْها مَجْمَعُ اللُّغَةِ العربيَّةِ بالشّارقَةِ الّذي وَقَّعَ اتِّفاقيَّةَ تَعاوُنٍ تَنُصُّ على تَبادُلِ الخِبْراتِ العِلْميَّةِ والأَكاديميَّة، وعلى إقامَةِ مَركَزِ اخْتِبارِ الكِفايَةِ بالعَربيَّة.

وبهذا يَكونُ امْتِحانُ الكِفايَةِ اللُّغويَّةِ تَطْبيقًا حَيًّا لاسْتِراتيجيَّةِ النُّهوضِ باللُّغةِ العربيَّةِ في مجالاتِ التَّعليمِ والإعلامِ والتَّواصُلِ والحَرْفِ العَرَبيِّ والتّي تَتَمَثَّلُ في أَهَمِّيَّةِ إتقانِ الفُصْحى حِفاظًا على وَظيفتِها، بِوَصْفِها وِعاءً للهُويَّةِ، وَصِلَةَ وَصْلٍ بَيْنَ أَبناءِ الأُمَّةِ العربيَّةِ، ولِزيادةِ الوَعي بالعَلاقَةِ بينَ تَعلُّمِها وتَوطينِ العِلْمِ، وإبرازِ دَورِها في تَقْوِيَةِ الأَواصِرِ، وتَدْعيمِ الشُّعورِ الإيجابيِّ باللُّغةِ العربيَّةِ كونَها تُشَكِّلُ جزءًا منَ الذّاتِ العربيَّةِ.

استضاف رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق

«مجمع اللغة العربية بالشارقة» يناقش تعزيز اللغة العربية لدى الطلاب في المدارس

نظّم "مجمع اللغة العربية بالشارقة"، بالتعاون مع "هيئة الشارقة للتعليم الخاص"، في مكتبة المجمع، جلسةً حواريةً ضمن فعاليات المجلس اللغوي التي تُنظّم شهريًا، استضاف خلالها الدكتور محمود أحمد السيد، وزير التربية والتعليم السوري الأسبق، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

وجاءت الجلسة بعنوان "تعليم اللّغة العربية بين الواقع والمأمول .. كيف نمكّن للسان العربي لدى أبنائنا وبناتنا؟"، التي أدارها الباحث هشام سعيد، وتحدث في بدايتها الدكتور امحمد صافي المستغانمي، أمين عام مجمع اللغة العربية بالشارقة، الذي عرّف الجمهور على جوانب من سيرة رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وجهوده اللغوية.

وحول أسباب ضعف تحصيل اللغة العربية لدى طلاب المدارس، أشار السيد إلى أن مؤشرات ذلك الضعف واضحة وتتمثل في كثرة الأخطاء النحوية والإملائية، وضعف مخزون الحفظ، وعدم تمثّل المهارات اللغوية، والإهمال والقصور لدى الطلاب في القراءة الحرة.

وأوضح أن بعض الباحثين أعادوا سبب ضعف التحصيل في اكتساب مهارات اللغة العربية في المدارس إلى تركيز المعلمين على تلقين الطلاب قواعد النحو، بينما يرى آخرون أن السبب يكمن في طرق تدريس النحو التي تتبع في معظمها الأسلوب القياسي من خلال سرد القواعد النحوية وضرب الأمثلة عليها بشواهد من النصوص العربية دون تعزيزها لدى الطلاب بالمهارات.

ورأى الدكتور محمود أحمد السيد أن عدّة عوامل تؤثر في مستوى اهتمام الطلاب وخاصة الأطفال باللغة العربية، أبرزها التربية التقليدية والمفاهيم السائدة التي تنظر إلى اللغة العربية بوصفها مجموعة أحكام، وتعتبر أن التمكّن منها يعني إتقانها، في حين أن إجادة وحفظ القواعد لا يكفي ما لم يتمكن الطالب من تطبيقها والمطالعة المستمرة للنصوص الأدبية الرفيعة التي تسهم في إنشاء الملكة اللغوية.

وشدد السيد على أهمية مراجعة مناهج تدريس اللغة العربية في المدارس وفق أبحاث علمية تنظر إلى الأولويات وتعيد ترتيب الأهداف التعليمية من منهج اللغة العربية، بحيث تصبح المعرفة في المقدمة، ويليها تكوين المهارات بالممارسة وتكرار الأمثلة على الطلاب لتعزيز حضور اللغة العربية وقواعدها في أذهانهم وزيادة الوعي بها.

وقال: "ينبغي للمناهج أن تُبنى في ضوء أبحاث علمية، وما يستخدم في الحياة بكثرة يعد أساسياً، ولابد من إعداد النشء لروح العصر".

وأكد ضيف المجلس اللغوي الرابع لمجمع اللغة العربية بالشارقة على أهمية التركيز في المدارس على القضايا الجوهرية والوظيفية في اللغة العربية والابتعاد عن تعقيد أساليب تدريسها وعدم الانشغال بالمسائل الخلافية وتركها للأكاديميين والمختصين، وأن على معلمي اللغة العربية أن يتمثلوا الأهداف المرسومة لمختلف أقسام المنهج لترسيخ اللغة العربية في وعي الطلاب.

وتناول رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق تنوع الرؤى التي تعرّف مفهوم اللغة وأوضح أنها تشمل الإشارات والإيماءات والحركة واللغة الشفاهية واللغة المكتوبة، وعرض شواهد من الشعر العربي تحكي عن الإيماءات والإشارات غير المنطوقة وكيف عبّر عنها الشعراء في قصائدهم.

مِنْ وَحْيِ المُعْجَمِ التَّاريخِيِّ

أَثَرُ التَّصْحيفِ في التَّأْريخِ المعْجَمِيّ

بقلم: رفيق سربيس

محمد الطاهر بن عاشور

في مَقالٍ سابِقٍ رَأَيْنا كَيْفَ يُمْكِنُ للتَّصْحيفِ أَنْ يُؤَثِّرَ تَأْثيرًا سَلْبًا في مُعْجَمِنا التَّاريخِيِّ، وإذا لم يَتَفَطَّنْ لَهُ الـمُحَرِّرُ، فقَدْ يُؤَرِّخُ لأَلْفاظٍ عَلى أَنَّها عَرَبِيَّةٌ ولَيْسَتْ كَذَلِكَ، وقَدْ يولَدُ جَذْرٌ جَديدٌ لَمْ تَحْمِلْ بِهِ لُغَتُنا بِسَبَبِ هَذا التَّصْحيفِ كما مَرَّ بنا مِنْ قَبْلُ في (ح ج د)، ولِلأَهَمِّيَّةِ البالِغَةِ أَحْبَبْتُ أَنْ أُنَبِّهَ في هَذا الـمَقالِ عَلى ضَرورَةِ التَّفَطُّنِ عِنْدَ مُعالَجَةِ أَيِّ لَفْظٍ قَبْلَ التَّأْريخِ لَهُ، وذَلِكَ بمُراجَعَةِ جَميعِ الـمَعاجِمِ الـمُمْكِنَةِ وكُتُبِ اللُّغَةِ الـمُتَوَفِّرَةِ للتَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّةِ لَفْظٍ ما، أَوْ صِحَّةِ مَعْناهُ، وقَدْ نَضْطَرُّ إِلى مُراجَعَةِ مَخْطوطاتٍ لِبَيانِ صِحَّةِ كَلِمَةٍ نُريدُ أَنْ نُؤَرِّخَ لها.

قال مُرْتَضى الزَّبيديُّ في كِتابِهِ الماتِعِ "تاجُ العَروسِ -وهُوَ يَشْرَحُ قَوْلَ الفَيْروزآبادي: (والطُّوسُ دوام الشَّيْءِ)-: "هَكَذا في سائِرِ النُّسَخِ، وفي بَعْضِها: دَوامُ الـمَشْيِ، وهُوَ غَلَطٌ فاحِشٌ لا أَدْري كَيْفَ ارْتَكَبَهُ الـمُصنِّفُ مَعَ جَلالَةِ قَدْرِهِ، ولَعَلَّهُ مِنْ تَحْريفِ النُّسَّاخِ، والصَّوابُ: دَواءُ الـمَشِيِّ، كَما هُوَ مَضْبوطٌ بِخَطِّ أَبي السَّناءِ الأُرْمَوِيِّ في نُسْخَةِ التَّهْذيبِ، ونَسَبَهُ الصّاغانِيُّ إِلى ابْنِ الأَعْرابِيِّ".

قُلْتُ: فلاحِظْ هُنا كَيْفَ تَصَحَّفَتْ كَلِمَةُ (دَواء) إِلى (دَوام)، وكلمة (الـمَشِيّ) إِلى (الشَّيْءِ).

وقال أَيْضًا: "الفَيْقُ أَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيُّ، وهُوَ صَوْتُ الدَّجاجِ وهُوَ تَصْحيفٌ، وصَوابُهُ القَيْقُ بقافَيْنِ عَنِ ابْنِ الأَعْرابِيِّ، كَما في العُبابِ، وسَيَأْتي".

قلت: وهُنا تَصَحَّفَتْ كَلِمَةُ (القَيْق) إِلى (الفَيْق).

فإذا لم يَتَفَطَّنِ الـمُحرِّرُ للتَّحريفِ أو التَّصْحيفِ الذي حَصَلَ، فسَيُثْبِتُ مَعْنًى جَديدًا لِلَفْظٍ مَوْجودٍ كما في مِثالِ الزَّبيديِّ الأَوَّلِ، أو يُثْبِتُ لَفْظًا جَديدًا غَيْرَ مَوْجودٍ لمعْنًى مَذْكورٍ، كما في مِثالِهِ الثَّاني.

قال التِّبريزيُّ في شَرْحِهِ عَلى ديوانِ أَبي تَمَّام: "وقال أَبو العَلاءِ أَحْمَدُ بْنُ سُليمانَ التَّنوخِيُّ الـمَعَرِّيُّ في كِتابِهِ الـمَعْروفِ بذِكْرى حَبيبٍ: "إِنَّما أَغْلَقَ شِعْرَ الطَّائِيِّ أَنَّهُ لم يُؤْثَرْ عَنْهُ، فتَناقَلَتْهُ الضَّعَفَةُ مِنَ الرُّواةِ والجَهَلَةُ مِنَ النَّاسِخينَ، فَبَدَّلُوا الحَرَكَةَ، بِالحَرَكَةِ فَأَوْقَعُوا النَّاظِرَ بِمَا جَنَوْهُ فِي أُمِّ أَدْرَاصٍ وَتُغْلِّسٍ، وغَيَّروا بَعْضَ الأَحْرُفِ بسوءِ التَّصْحيفِ، فغادَروا الفَهِمَ خابِطًا في عَشْواءَ لأَنَّ تَغْييرَ الضَّمَّةِ إِلى الفَتْحَةِ والكَسْرَةِ يُنْشِبُ الفَطِنَ في الحِبالَةِ، فأَمّا نَقْلُ الحاءِ إِلى الخاءِ، والدَّالِ إِلى الذّالِ، فيَحْدُثُ عَنْهُ إِلْباسٌ ، تُقْرَنُ بِهِ بَلادَةٌ وانْتِكاسٌ"، وهُوَ كما ذَكَرَهُ أَبو العَلاءِ". انْتَهى كَلامُ التِّبْريزِيِّ.

قُلْتُ: وفي كَلامِ الـمَعَرِّيِّ إِشارَةٌ إِلى أَنَّ التَّصْحيفَ يَكْثُرُ في الكَلِماتِ الـمُتشابِهَةِ، فيَنْتُجُ عَنْهُ تَبْديلُ حَرَكَةٍ بِحَرَكَةٍ أَوْ حَرْفٍ مُعْجَمٍ بِحَرْفٍ مُهْمَلٍ كما في الحاءِ والخاءِ، أَوِ العَيْنِ والغَيْنِ، أَوِ الدَّالِ والذَّالِ، ونَحْوِها.

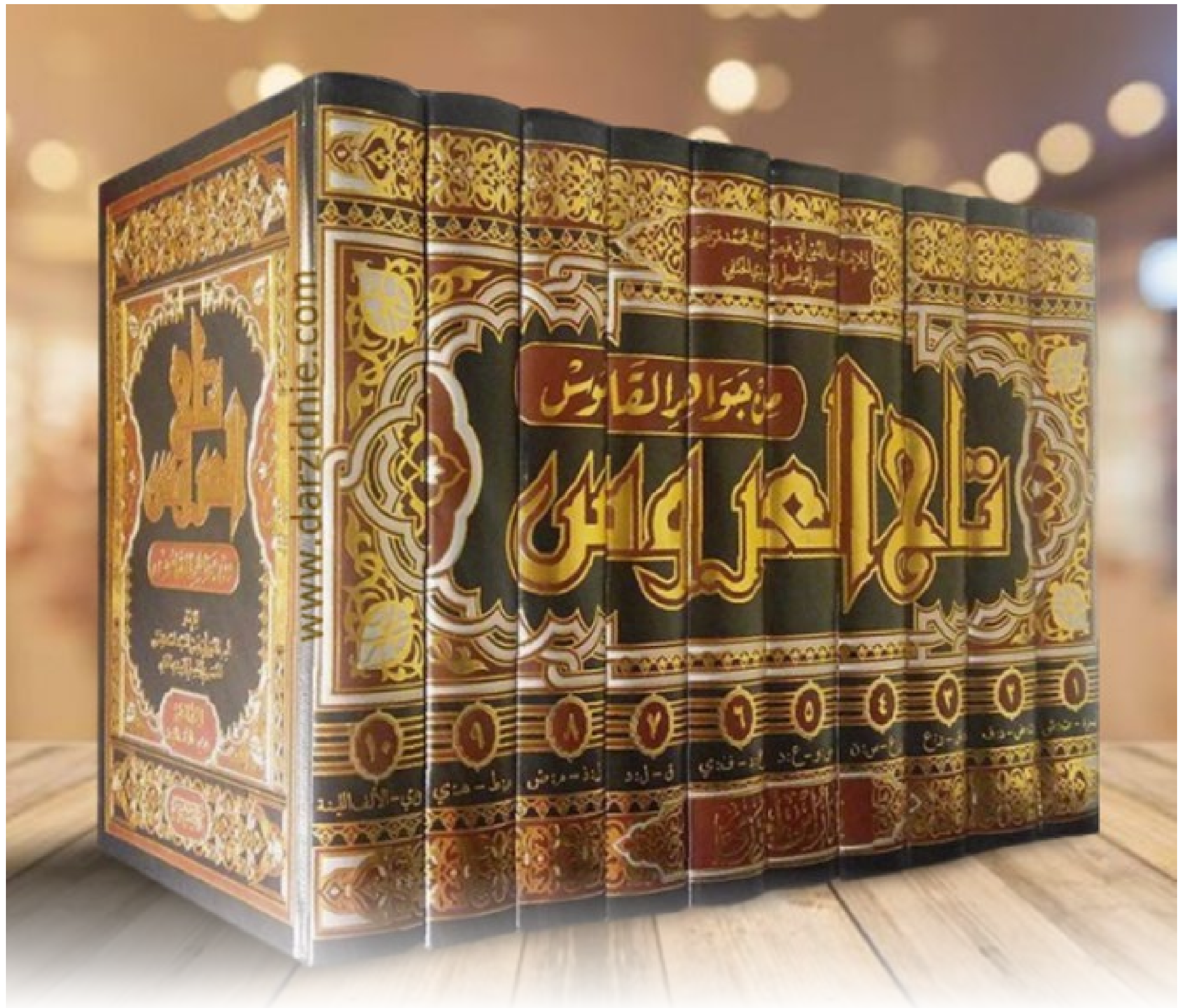

وفي زَمَنِنا هَذا صارَتْ لَدَيْنا ثِقَةٌ عَمْياءُ بالكُتُبِ الـمَطْبُوعَةِ، وكَثيرٌ مِنها غَيْرُ مُحقَّقٍ، وكَثيرٌ مِنَ الـمُحَقَّقِ لم يُحَقَّقْ تَحْقيقًا عِلْميًّا لائِقًا أَوْ لم يُسْنَدْ لأَهْلِ الاخْتِصاصِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، فالـمُحَقِّقُ إِنْ لم يَكُنْ لُغَوِيًّا أو لَمْ يَسْتَعِنْ بِأَهْلِ اللُّغَةِ الـمُتَخَصِّصينَ وَقَعَ في مِثْلِ هَذِهِ المهالِكِ.

قال الطّاهِرُ ابْنُ عاشورٍ في مُقَدِّمَتِهِ على شَرْحِ ديوانِ بَشّارٍ يَصِفُ النُّسْخَةَ المَخْطوطَةَ التي اعْتَمَدَ عَلَيْها: "وهَذِهِ النُّسْخَةُ يَظْهَرُ أَنَّها نُقِلَتْ مِنْ أَصْلٍ صَحيحٍ وأَنَّ ناسِخَها تَثَبَّتَ غايَةَ جُهْدِهِ ومَبْلَغَ عِلْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ قَوِيٌّ في اللُّغَةِ والأَدَبِ العَرَبِيِّ، فلِذَلِكَ كانَ يوقِعُ تَحْريفًا ولَحْنًا في غَريبِ الأَلْفاظِ، فيَكْتُبُها عَلى مَبْلَغِ ما يَسْبِقُ إِلى فَهْمِهِ مِنْ صُوَرِ الأَلْفاظِ الغَريبَةِ، وقَدْ أَخْطَأَ في ضَبْطِ الكَلِماتِ خَطَأً يَدُلُّ عَلى ضَعْفِهِ في النَّحْوِ، وفي كَثيرٍ مِنَ الأَخْطاءِ ما يوقِعُ حَيْرَةً للنّاظِرِ، فاللهُ يُسامِحُهُ ويَرْحَمُهُ، ولَوْلا

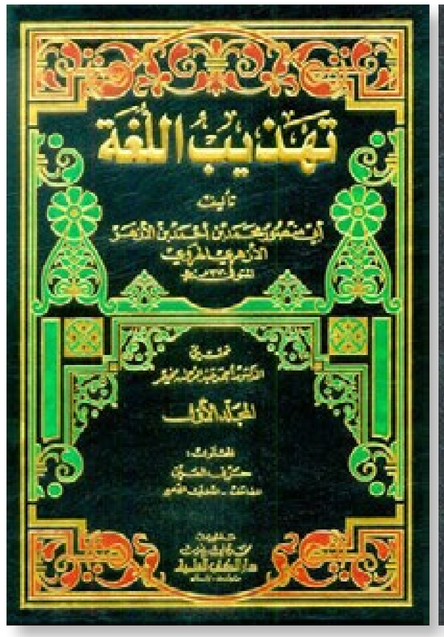

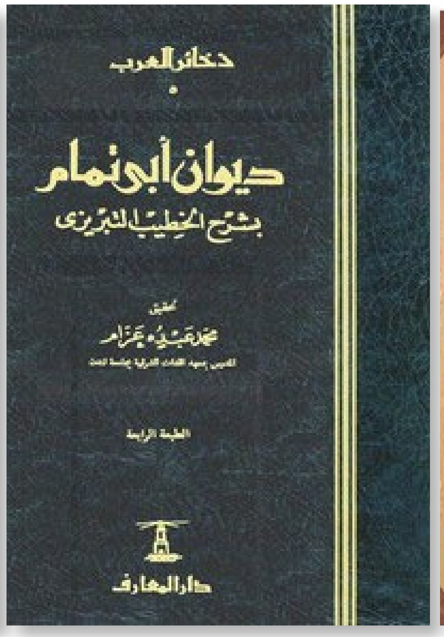

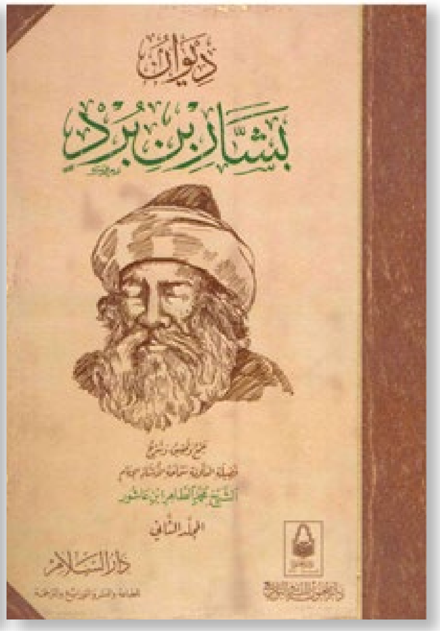

مُمارَسَتي لأَدَبِ العَرَبِ ، والشُّعورُ بمآخِذِ بَشّارٍ ومَراميهِ في شِعْرِهِ لعَسُرَ عَلَيَّ إِصْلاحُ كَثيرٍ مِنْ تِلْكَ الأَغْلاطِ".

وأَحْيانًا أُخْرى تَجِدُ بَعْضَ الـمحَقِّقينَ قَدْ يَتَوَهَّمُ التَّصْحيفَ فيَتَّهِمُ الـمُؤَلِّفَ، وسَبَبُ اتِّهامِهِ هُوَ خَطَأُ قِراءَتِهِ للمَخْطوطِ، أو أَنَّ الَّذي نَسَخَ الـمَخْطوطَ الأَصْلَ أَخْطَأَ في ضَبْطِ الكَلِمَةِ، فلا يَتَثَبَّتُ هُوَ، ولا يَتَأَنّى، ويُزاحِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ العَجَلَةُ في طِباعَةِ الكِتابِ، فيَقَعُ بِسَبَبِهِ في ذَمِّ تَصْحيفٍ مَزْعومٍ لأَجْلِ زَعْمِ مُصَحِّفٍ.

وفي الخِتامِ أَرْجو مِنَ العامِلينَ في التّأريخِ الـمُعْجَمِيِّ أَنْ يَتَثَبَّتوا خاصَّةً في الكَلِماتِ الغَريبَةِ وَزْنًا ومَعْنًى، فلا يُؤَرِّخُ لها إِلّا بَعْدَ التَّحَقُّقِ، ومُراجَعَةِ أَهْلِ الاخْتِصاصِ، فقَدْ يُؤَرِّخُ أَحَدُنا لكَلِماتٍ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً فيُظَنُّ أَنَّها كذَلِكَ، ويُبْنى عَلَيْها بَعْدَ ذَلِكَ ما لا يُحصى مِنَ الـمَعاني.

قال أبو مَنْصورٍ الأَزهرِيُّ في خاتِمَةِ كِتابِهِ البَديعِ (تَهْذيبُ اللُّغَةِ): "ولـمّا رَأَيْتُ ما أَلِفَهُ هَذِهِ الطَّبَقَةُ، وجِناياتِهِمْ عَلى لِسانِ العَرَبِ الَّذي نَزَلَ بِهِ الكِتابُ، ووَرَدَتِ السُّنَنُ والأَخْبارُ، وإِزالَتَهُمْ لُغاتِ العَرَبِ عَنْ صيغَةِ أَلْسِنَتِها، وإِدْخالَهُمْ فيها ما لَيْسَ مِنْها، عَلِمْتُ أَنَّ الـمُمَيِّزينَ مِنْ عُلَماءِ اللُّغَةِ قَدْ قَلّوا في أَقْطارِ الأَرْضِ، وأَنَّ مَنْ دَرَسَ تِلْكَ الكُتُبَ رُبَّما اغْتَرَّ بها واتَّخَذَها أُصولًا فبَنى عَلَيْها؛ فأَلَّفْتُ هَذا الكِتابَ وأَغْفَيْتُهُ مِنَ الحَشْوِ، وبَيَّنْتُ فيهِ الصَّوابَ مِنَ الخَطَأِ، بقَدْرِ مَعْرِفَتي، ونَقَّيْتُهُ مِنَ التَّصْحيفِ الـمُغَيِّرِ، والخَطَأِ الـمُسْتَفْحِشِ ، والتَّفْسيرِ الـمُزالِ عَنْ جِهَتِهِ، ولَوْ أَنّي كَثَّرْتُ كِتابي هَذا وحَشَوْتُهُ بما حَوَتْهُ دَفاتِري، واشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الكُتُبُ الَّتي أَفْسَدَها الوَرّاقونَ، وغَيَّرَها الـمُصَحِّفونَ، لطالَ الكِتابُ وتَضاعَفَ عَلى ما انْتَهى، وكُنْتُ أَحَدَ الجانينَ عَلى لِسانِ العَرَبِ".

إعجاز البيان في دراما القرآن

د. محمود كحيلة

يقصد بالدراما ما ينطوي عليه الكلام من حركات وأفعال وهي كلمة أَطْلَقَهَا الإغريق القدماء عَلَى ما شُخِّصَ أي مُثِّلَ من أقوال الشعراء والذي ترتب عليه بقاء هذا المنتج الدراما منذ ما قبل الميلاد وَإِلَى الآن لأنه لقي قَبُولًا من الناس ورضا وَ اسْتِحْسَانًا ولأنها إغريقية الصنع، مَازَالَتْ كلمة دراما بلا مرادف مُوَازٍ من اللغة العربية ولا أعتقد أن مرجع غياب مرادف الدراما إِلَى ضعف بالعربية الحُبْلَى بالكلمات والمعاني ، والغنية بالمرادفات وإنما مرجعه إِلَى غياب الدراما نفسها عن التقصي والبحث والدراسة عربيا ومرجع ذلك لأسباب أهمها أن علماء العرب إِبَّانَ المد العربي تطلعوا إِلَى ترجمة كل ما أمكن ترجمته من علوم غربية عن كل أنحاء الأرض إِلَى لغة القرآن الكريم لخدمة الإسلام ورفعة شأن المسلمين . وقد شمل ذلك ترجمات في الطب والهندسة والفلك والزراعة وغيرها، وَعَانَى المترجمون الأوائل ـــ لا شك ـــ مِنْ ترجمة مفردات ما يجهلون من علوم ولذلك كانت الترجمات الأُولَى في ألوان المعارف كافَّةً ليست بالجودة التي وصلت إليها الترجمة اليوم بعد ما وضعت للترجمة أسس ومفاهيم وقواعد وقوانين تنير الطريق أمام المترجمين. وقد استثنيت من الترجمة وقتذاك ولقرون عديدة الدراما. وَأُرْجِعُ ذلك وفقا لأكثر الآرَاءِ تحررا وحيادا إِلَى أن الدراما كانت مكتوبة بالشعر الإغريقي أو اليوناني القديم ووجد المترجمون صعوبة كبيرة في ترجمة الشعر تصل إِلَى حَدٍّ يَضْطَرُّ فِيهِ الـمُتَرجِمُ إِلَى كتابة قصيدة موازية ويتطلب ذلك أن يكون المترجم نفسه شاعرًا. وكان العرب يرون أنفسهم أشعر الناس ولا حاجة لَهُمْ إِلَى أشعار غيرهم، وهكذا لم يَكُنِ العرب الأوائل قد أدركوا بعد قيمة الدرَامَا وَأَهَمِّيَّتَهَا، وصرفهم عن تكرار محاولة ترجمة ذلك ما وجدوه في التراجيديات القديمة من صراعات بين الآلهة وأنصاف الآلهة وكانوا قد تخلصوا للتو من سطوة (365) إِلَهًا كانوا يحتلون جدران الكعبة المشرفة – البيت العتيق- أول بيت وضع للناس، ولذلك أهملت الدراما وعلومها عربيا لمدة ما يقرب من 2500 عام حَتَّى سافر رواد الفكر العربي للدراسة في أوروبا فشاهدوا بأعينهم المسرحيات على مسارح انجلترا وفرنسا وكانت قد تطورت وواكبت عصور ما بعد انتشار المسيحية وتخلصت من صراعات الآلِـهَةِ وانبرت نحو صياغات تَتَحَلَّى بالمواعظ والأخلاق التي تنفع البشر فعاد هؤلاء الرواد إِلَى بلادهم مُنْبَهِرِينَ بالدراما وأخذوا ينادون بإدخالها إِلَى بلادنا لما لها من فائدة في تعليم الناس بطرق ووسائل ترفيهية غير تقليدية.

كان أبرز من نَـادَى بنشر الثقافة الدرامية في مصر وغيرها من البلدان العربية أحد أعلام التنوير "رفاعة رافع الطهطاوي" الذي أشاد بما شَاهَدَهُ من مسارح في "باريس" وتكلم عن روعة التجربة وما تنطوي عليه من فائدة في كِتَابِهِ

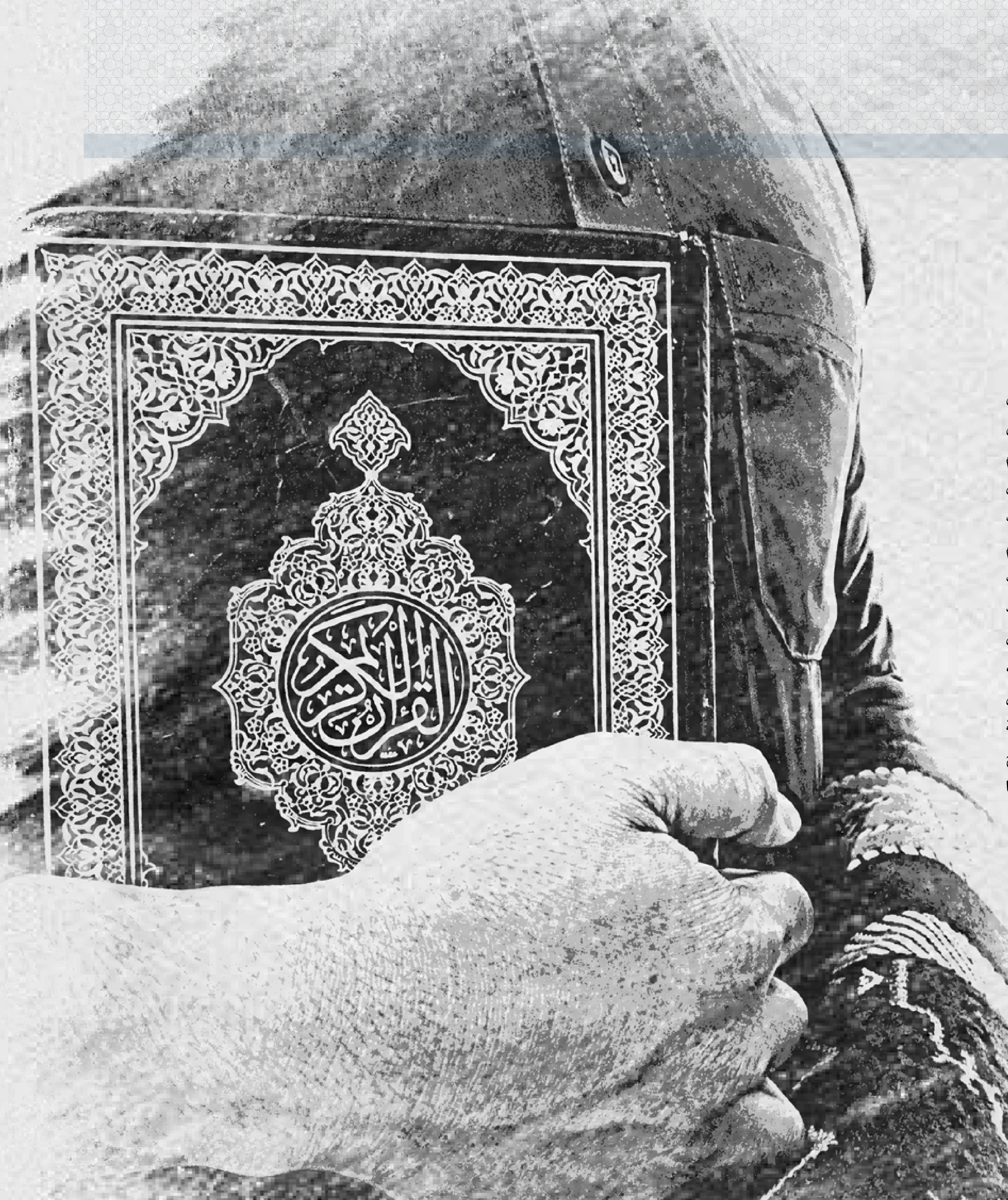

الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" وقد تبعه كثير من رواد المشهد الثقافي والاجتماعي والوطني. فيرصد لنا البحث النقدي إسهامات مسرحية لعبدالله النديم الصحافي الشهير وخطيب الثورة العرابية، وكذلك مصطفى كامل الزعيم الوطني الذي كتب مسرحية وأخرجها مع أقرانه بالجامعة، ويسهم الأديب الإسلامي "مصطفى صادق الرافعي" بتأليف مسرحية بينما يؤلف "عباس محمود العقاد" كتابا رائعا بعنوان "التعريف بشكسبير" الذي يعد أهم وأعظم كتاب المسرح في العالم وكأنه يدعو العرب إِلَى مائدة الدراما.

تأخر العرب في ترجمة الدراما فلم نكتشف إِلَّا أَخِيرًا ما يرتبط بصياغتها من قواعد وما تنطوي عليه من أسرار ومنها أن اللغة التي ينطقها عامة الناس من الجمهور هي المادة الخام التي تصنع منها الدراما التي حبست مئات الأعوام فِي القالب الشعري حيث كانت الكتابة الدرامية قاصرة عَلَى الشعراء ولولا عبقرية كتابنا الأوائل وقدرتهم الكبيرة عَلَى قيادة دفة الدراما بالشعر التقليدي ، فكتب اللبناني "خليل اليازجي" مسرحية "المروءة والوفاء" لتكون أول مسرحية بالشعر العربي، وبها عرفنا كم هو بديع الموروث العربي عندما يُشَخَّصُ .

واكتشفنا أخيرًا بعدما اقتربنا من دنيا الدراما، وتفهمنا معناها ومغزاها، وجدنا إِعْجَازًا دراميًّا في القصص القرآني متمثلا في دقة التصوير، وعبقرية الحوار الذي تجاوز في صياغته مجمل ما أنجزه البشر من إبداع بهذا المجال على مَدَى آلاف الأعوام. وهذه الدراما المكشوفُ غِطَاؤُهَا حَدِيثًا ليست إلا مواقف تصنعها كلمات مصدرها اللغة العربية، لغة القرآن الكريم؛ أول المعجزات وآخرها تلك اللغة الحية التي ما تعمق فِيهَا البَاحِثُونَ ولا درسها الدَّارِسُونَ إلا ثبت لهم بما لا يدع مجالا لِلشَّكِّ أنها محفوظة باقية إِلَى آخر الحياة، وقد كرمها الخالق جل في علاه عندما صَيَّرَهَا لغة القرآن وهيأ لها من أسباب الخلود والبقاء ما جعلها دائما أقوى اللُّغَاتِ وَأَهَمَّهَا وأبقاها. وَمَهْمَا يُحَاوِلُ أعداؤها التَّقْلِيلَ من شأنها أو مُقَاوَمَةَ تمددها ؛ يَخْرُجُ دائما من بين جموع الناس من يجذبه حبها ويقع في عشقها ويمضي العمر عائشا في هواها إضافة إلى توفر مفرداتها ومراجعها في قلوب حفظة القرآن الكريم الذي تعهد خالق الكون بِحِفْظِهِ فهو محفوظ إلى يوم الدين.

من مظاهر الإعجاز اللغوي القرآني اختيار المتلقي المناسب من قبل التنزيل إذ لم يشأ الخالق سبحانه وتعالى أن يخاطب بتلك الكلمات العربية التي من نورٍ جُـمْهُورًا لا يعي ما بها من إعجاز، وإنما اختير جمهور متقن للعربية لكي تسحرهم كلمات القرآن رغم أنها من معجم الألفاظ والكلمات التي اعتادوا عليها ويعرفونها جيدا ولكنها رتبت بطرق لم يألفوها تبهرهم حلاوتها وتسحرهم تلاوتها ومن المعلوم أنهم حاولوا ما استطاعوا محاكاة القرآن حتى أصابهم اليأس من أن يأتوا بآية من مثله. ويمتاز الأُسْلُوبُ في لغة القرآن بالإيجاز مع الحفاظ على سحر اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَجَمَالِهَا؛ فَقَدْ كرمها الله عندما جعلها لغة القرآن وأكرمنا نحن العرب عندما جعلها لغة لنا نتواصل بها، وننتسب إليها ، وكلما تعمق اللُّغَوِيُّونَ في البَحْثِ تبين لهم كيف تتفوق العربية على جميع اللغات ، وكيف أنها وحدها الباقية والمستمرة من بين مختلف اللغات.

من مظاهر عبقرية اللغة العربية إمكانية الوصول إلى المعاني المرجوة بأقل عدد ممكن من الكلمات لضمان تحقيق إيقاع سريع لما يصاغ من حوار، أَوْ يقترح من أفعال للوصول إِلَى تعبير منجز يصل إِلَى أعمق المعاني من دون أن يرافقه كلام، ونموذج ذلك مشهد مواجهة سحرة فرعون أكثر الأنبياء ذكرا في القُرْآنِ الكريم "موسى" عليه السلام الذي بادر وهو الطرف الأضعف على أرض المشهد الدرامي أمام سحرة يدعمهم فِرْعَوْنُ قائلا: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: 80] وهذا وضع يكسب الموقف بعض المرح والدهشة والإثارة لتنقل اللغة متلقيها من قالبها الإنساني والوجداني إلى حيث التأمل والعقل الذي يستعد لاستقبال القادم في ترقب واهتمام وما إِنْ يلقي السحرة حبالهم وعصيهم ويستحسن ذلك الجماهير المندفعة لتشجيع سيدهم صاحب السلطة والملك والجبروت الذي دعاهم إلى الحفل حَتَّى اطْمَأَنُّوا أنهم سحروا أعين الناس وعلى وشك الانتصار فَقَدْ أَرْجَعُوا الفضل إلى فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: 44]. وهنا يشتعل المشهد وتنطلق دراما اللغة القرآنية نحو آفاق لا قبل لبشر بها .ولو لم تَجْرِ على أرض الواقع لما قدر بشر على محاكاتها، إذ ينتصر فرد واحد على حشد عظيم من بشر وإله بشري زائل متمثل في فِرْعَوْنَ الذي قَذَفَ بِهِ غروره إِلَى التَّسَلِّي بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مَوْقِفٍ يَحْبِسُ الأنفاسَ فَتَسْتَفِيقُ البَشَرِيَّةُ عَلَى الـمُفَاجَأَةِ الكُبْرَى في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: 45]

وهكذا تبدل الحال وتسبب إلقاء عصا موسى عليه السلام في سجود السحرة أمام معجزة موسى في حضرة الجماهير وَ هَذَا الفِعْلُ زلزل عرش فِرْعَوْنَ وأحرجه أمام شعبه، ومما يزيد المشهد غَرَابَةً و إعجازا أن السحرة الذين اسْتُعِينَ بهم لتحجيم موسى عليه السلام قَدْ أشهروا هم أنفسهم العصيان: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الشعراء: 46]. سجد السحرة لرب موسى الحاضر رغم الغياب الظاهري وانقلبوا على فرعون الغائب بالحضور والذي أوشك دوره على الانتهاء حيث سقطة البطل في النهاية المأساوية لفرعون التي ترسخ لها دراما اللغة وَتجلب التطهير، وَتَحُضُّ على احترام الآخر وتدعم مكارم الأخلاق، وهكذا تعبر بنا لغة القرآن الكريم إِلَى آفاق لم يَعْهَدْهَا بشر في أكبر عدد من الأفعال بأقل عدد من الكلمات مُكْتَسِيَةً تَعْبِيرًا مُعْجِزًا وَمُوجَزًا .

الجملة الواحدة في لغة القرآن الكريم يمكن صياغتها بعدة طرق بينها فروق طفيفة وتنطوي على مَعَانٍ عميقة

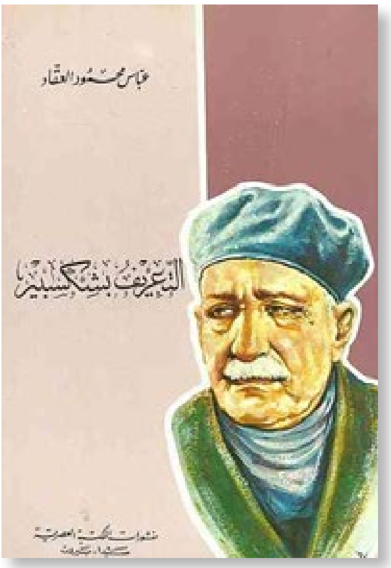

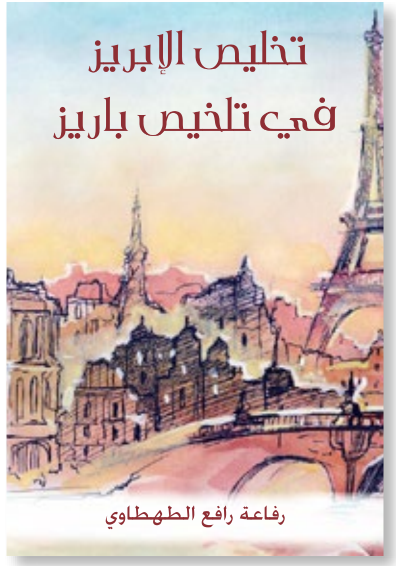

منها قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:91] وتكرر الأمر في آية تالية من السُّورَةِ نَفْسِهَا مَعَ زِيَادَةِ حرف واحد في الكلمة الأولى والكلمة الأخيرة رغم أن الجملة كلها مكونة من كلمات ثلاث هي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97] والمعنى واحد تقريبا حيث اعتذر إخوة يوسف عليه السلام عما ارتكبوا من آثام واعترفوا بما ارتكبوا من خطأ بحق أَخِيهِمْ ويوجه الحديث ليوسف في المرة الأولى لذلك

جاءت (إن) مخففة وتؤكد الجملة باللام كونهم أدركوا أن ما فعلوه من ذنب بحق يوسف عليه السلام تألمت مِنْهُ ضمائرهم وكأنهم رأوا أن ما فعلوه لكي يتخلصوا منه كان لصالحه على أرض الواقع إذ أعزه الله ورفعه من قاع البئر إِلَى العزة والمجد والكرامة وهو في وضعه الآن يفهم إرادة الله الحق التي تحكمت بفعلهم كما تحكمت في عاطفة "زليخا" امرأة العزيز الزائدة على الحد معه والتي أَدَّتْ به إِلَى السجن الذي كان أيضا خطوة تالية على طريق الوصول كي يصبح يوسف عليه السلام عزيز مصر، وكل ذلك جعله يستغفر لهم الله من دون أن يطلبوا منه ذلك بينما في الجملة المشابهة التي كانت في حوار لهم مع الأب والوضع مختلف فلذلك جاءت بِأُسْلُوبِ توكيد عبر تشديد النون (إنا) مَجِيء(نا) لتثبيت الفعل الخاطئ لهم بحق أبيهم الذي حرموه بفعلهم أحبَّ الأبناء إليه وأقربهم إِلَى قلبه ، ولوقت طويل ولم ينل من ذلك إلا الحزن والبكاء إِلَى حد فقد البصر، ولذلك أجل أَبُوهُمُ الاستغفار لهم رغم أنهم كانوا يستعجلون أن يسامحهم ويغفر لهم ويؤكد ذلك أن رضا أَبِيهِمْ وعفوه عنهم هو هدفهم الأَسْمَى .

الإعجاز القرآني هو إعجاز لتلك اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ،إِذْ لم تتوقف عن الحضور لحظة في أي مشهد من مشاهد الإنسانية لأنها قادرة على السيطرة على فكر الشُّعُوبِ وَوِجْدَانِهَا بما تنطوي عليه من معجزات نَلْمَحُهَا مثلاً في تفسير الآية الكريمة بسورة الروم: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ ﴾ [الروم: 1- 3] والروم كانوا قوة عظمى تسيطر على الأرض وقت نزول الآية الكريمة، وكان الروم قوم كتاب بعد إعلانهم المسيحية ديانة لهم في القرن الرابع الميلادي وأهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من الوثنيين، ولذلك كان المسلمون يشجعون الروم عَكْسَ الكفار الذين كانوا يتمنون هزيمة الرومان وكانت سعادتهم تزيد وتستمر كلما مر الوقت ولم يتحقق ما نزلت به الآية الكريمة إلا في اللحظات الأخيرة التي أَكَّدَتْهَا الآية الكريمة بدقة متناهية وهو: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: 4] وكلمة بضع تشمل الأعداد من ثلاثة وحتى تسعة وفتحت مَجَالًا أوسع للترقب والانتظار كما يفعل صناع الدراما يؤجلون النهاية التي يمكن أن تستشفها منذ البداية حتى لحظة الختام والنهاية وكلما يبعدك من دون ملل كان ذلك ممتعا للمتابع.

كان النبي محمد ﷺ على يقين أن الروم سيغلبون وأن كلام الله جل في علاه إن لم ينسخْ أو يُنْسَ فلابد أَنْ يَتَحَقَّقَ لَامَحَالَةَ، ولذلك غُلِبَتِ الروم، وتحقق قول الحق في لحظة دقيقة تجعلها معجزة من معجزات الدراما للقرآن الكريم إذ تأخرت طويلا ولكنها جاءت مِثْلَ كُلِّ الأحداث التي نستعجلها في موعدها، وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ في سورة المسد التي هُدِّدَ فيها أبو لهب بقوله تعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [المسد :3]

وكان أبو لهب يعرف أنه لو أعلن إسلامه ولو عَلَى سبيل التظاهر والنفاق كما فعل المنافقون لأوجد مدخلًا للنيل من معجزة القرآن، ولكنه لم يفعل لأن الخالق أَدْرَى به من نفسه ويعلم علم الغيب وَمَا يَخْفَى عَلَى العالمين.

يوصي خبراء الدراما الجيدة بتكوين جمل وأفعال تسرد الماضي وتقر الحاضر وتستشرف المستقبل، وينطبق ذلك على محكم آيات القصص في القُرْآنِ الكَرِيمِ الذي يعد أعظم مرجع لتعلم لغة الدراما وكذلك الحادثة أو الصراع الذي نرى نموذجا له في قصة يوسف عليه السلام عندما يتصارع الأشقاء ويتطور الأمر إِلَى العنف والإجرام من غير مبالاة بصلة الدم والرحم، وهذه علاقات إنسانية مستمرة ومتكررة ولا زالت أشرس الصراعات تكون بين أقرب الناس، وكأن المرء لا يجد منافسا من غير أُولي قُرْبَاهُ، وتتميز قصة يوسف عليه السلام عن بقية القصص بورود أهم وقائعها في سورة واحدة من سور القرآن هي سورة يوسف بينما جاءت بقية القصص متفرقة بين السور ومنتشرة بين الآيات بصورة كبيرة حتى تصل نسبتها إِلَى ما يقارب ثلث القرآن الكريم.

تكرار الأقـوال والأفعال قد يسبب مللا لدى القارئ والمتلقي إلا في الدراما عندما توضع بعناية في مواقف مختارة ويُسَمَّى التكرار عند صناع الدراما "لازمة" وكأنها من مستلزمات الموقف أو الشخصية الدرامية وتتكرر جملة كريمة واحدة إِحْدَى وثلاثين مرة في سورة الرحمن هي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] وكان تَكْرَارُهَا لازِمًا لِتَنْبِيهِ القوم إلى لا نهائية نعم الله، وجعل جل في علاه هذا الفاصل القرآني يفصل الحديث بين كل نعمة وأخرى بغية الرجوع إلى رأي المخاطب لكي يصدق بنفسه على قول الخالق، وهذا بلغة الدراما سلوك ملحمي يهدف إلى دمج المتلقي في الحالة القرآنية كي يسهم في اكتمال المعنى إلى جانب إحداث تلاحم بين كلام الله وبين جمهور خلقه الـمُسْتَقْبِلِين لرسالته سبحانه وتعالى، ومن أهم أسباب تميز دراما اللغة القرآنية خلوها من الأهواء ومن الرياء والنفاق ومن مفاسد الأخلاق لذلك فَإِنَّهَا مُنْتَجٌ طَبِيعِيٌّ خَالٍ من التصرف البشري المفسد للأشياء .

ختاما، هذه محاولة هَادِفَةٌ إلى إنارة السبيل التي تسلكها الدراما واللغة القرآنية وَبِذَلِكَ نَتَبَيَّنُ أن اللغة العربية لا زالت تحتفظ بأسرارها الكثيرة وَالـمُسْتَقِرَّةِ في صناديق مغلقة لن تفصح عن مكنونها ولن نكتشفها إلا عِنْدَ امْتِلَاكِنَا مَفَاتِيحَهَا وهي التّعمّقُ والتأمل والفهم.

من مظاهر عبقرية اللغة العربية إمكانية الوصول إلى المعاني المرجوة بأقل عدد ممكن من الكلمات لضمان تحقيق إيقاع سريع لما يصاغ من حوار، أَوْ يقترح من أفعال للوصول إِلَى تعبير منجز يصل إِلَى أعمق المعاني من دون أن يرافقه كلام.

من أهم أسباب تميز دراما اللغة القرآنية خلوها من الأهواء ومن الرياء والنفاق ومن مفاسد الأخلاق

خليل اليازجي

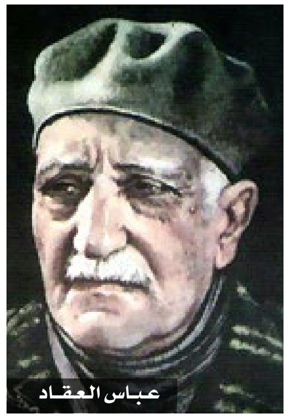
عباس العقاد

رفاعة الطهطاوي

الاسْتِـلابُ اللُّـغَـوِيُّ

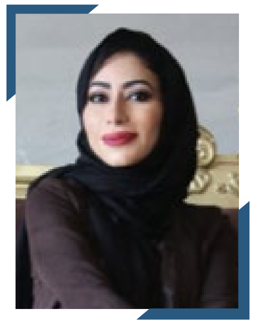

نسرين عبدالله ملاوي

هَذَا المُصْطَلَحُ الذي بَاتَ يُؤَرِّقُ النَّحْوِيِّينَ العَرَبَ، ويُزَعْزِعُ حُضُورَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في بِيئَتِهَا وَعَلَى لِسَانِ أَبْنَائِهَا، مَاذَا تَعْرِفُ عنه؟

هَلْ لاحَظْتَ يَوْماً عَدَدَ الكَلِمَاتِ والعِبَاراتِ الأَجْنَبِيَّةِ التي تُقْحِمُهَا ـ سَهْواً أو عَمْدًا ـ في كَلامِكَ، وَأَثْنَاءَ التَّخَاطُبِ مَعَ أَمْثَالِكَ مِنَ المُتَحَدِّثِين بالعَرَبِيّة؟

بناءً على إجَابَتِكَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقِيسَ مَدَى ارْتِبَاطِكَ باللُّغةِ العربيةِ (اللُّغَةُ الأمُّ)، فإن كان عددُ الكلماتِ الأجنبيَّةِ التي اسْتَعَرْتَهَا لإجْرَاءِ حَدِيثٍ يَومِيٍّ دَاخِلَ بِيئَةٍ عربيّةٍ أَصْحَابُهَا ذَوُو لِسَانٍ عَرَبِيٍّ، قدْ تَجَاوَزَتْ مُفْرَدَاتِك مِنَ العَربية، فأنْتَ لارَيْبَ أَسِيرُ الاسْتِلابِ اللُّغَوِيِّ .

العَـرَبِيَّــةُ أَوَّلًا

تَسْعَى اللُّغَاتُ الأُمُّ دَوْماً إِلَى الاسْتِعْلاءِ عَلَى بَاقِي اللُّغَاتِ، فَمَا بَالُكَ إِنْ كانت تلك اللُّغةُ هي اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، والتي تُعَدُّ مِن أَقْدَمِ اللُّغاتِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَاللُّغَةَ التي شَرَّفَهَا الخَالِقُ لِتكونَ لُغةَ القُرآنِ الكريم.

ولا يَخْفَى على أحدٍ أنّها كانتِ اللُّغَةَ الأولى في العالمِ في أَوْجِ الفُتوحاتِ الإسلاميةِ، وبالتَّحديدِ في العهدِ الأُمَوِيِّ والعَبَّاسِيِّ والأَنْدَلُسِيِّ، حيث كانتْ تُمَثِّلُ الوَجْهَ الحضَارِيَّ للأُمّةِ الإسلاميةِ، ومِفتاحَ الأدبِ والثَّقافةِ والعلوم.

ولأنَّ اللُّغةَ لا تَفْطِمُ أبناءَهَا، ارتبطتْ مع شعوبِها بِرِباطٍ وَثيقٍ، ومِنَ المُفْتَرَضِ أنْ لا يَفُكَّ وَثاقَهُ البُعدُ الجُغرافيُّ، وأنْ لا يُضْعِفَهُ الاندماجُ الحَضاريُّ، ولا يُمكنُ أن تَطْمِسَه العَولمةُ بأيِّ شكلٍ منَ الأشكال.

لَطالما أعْلَنَتِ الشُّعوبُ وعلَى مَرِّ العُصورِ ولاءَها للُغاتِها، وإنِ اقتضتِ الحاجةُ تَعَلُّمَ لُغاتٍ أخرى، تبقى اللُّغةُ الأمُّ مُتربِّعةً على عَرشها ،سَيِّدَةَ كُلِّ اللُّغَاتِ .

التُّرجُمان - مُفسِّر اللِّسان

بَدتِ الحاجةُ مُلِحّة إِلَى تَعَلُّمِ اللُّغاتِ الأخرى مع بدايةِ الفُتوحاتِ الإسلاميَّةِ وتَوسُّعِ العَلاقاتِ بين المَمالك والدُّولِ والشُّعوبِ التي اختلفتْ لُغاتُها، وكان التُّرْجُمانُ قديماً هو صَاحِبَ هذه المَهَمَّة بالتَّحديد، تُوعَزُ إليه وظيفةُ تَرجمةِ المُراسَلاتِ والخِطابات، كان الوسيطَ بين المُتحدِّثين بلُغاتٍ مختلفة، لِقصدِ تحقيقِ عمليةِ الاتّصال والتَّواصُل، وتَسْهِيلِ أُمورِ الحياةِ في مُخْتَلِفِ جوانبِها السياسيةِ والعسكريةِ والتجارية.

كما أَسْهَمَ التُّرْجُمَانُ في نَشرِ اللُّغاتِ وتبادُلِ الثّقافاتِ، وله أَثَرٌ فعّالٌ في ربطِ دَفّاتِ العالَمِ المُتَباعِدةِ بعد أنْ نَزَعَ حاجزَ اللُّغة فيما بينَها، ولا ننسى دَورَه الأساسَ في الدَّعوة الإسلاميةِ لشُعوبٍ لا تُتْقِنُ اللِّسانَ العَربيَّ ـ لسانَ القُرآنِ الكريم.

العَوْلَمَةُ - العَرَبِيَّةُ تَتَرَنَّحُ على مِيزانِ اللُّغاتِ

في ظلِّ الاندماجِ الحضاريِّ، والتَّلاقُحِ الفِكْرِيِّ بينَ الشُّعوب، لم يَعُدِ التُّرْجُمَانُ قَادِرًا على أداءِ مَهَمَّتِهِ ، واشْتَدَّتِ الحاجَةُ إلى تعلُّمِ اللُّغاتِ الحيويةِ وَ الأكثرِ انْتِشَارًا في العالَم، ولم يَعُدِ الأمرُ مُقتَصِراً على نُخْبَةٍ مِنَ المُتَحَدِّثين بلُغاتٍ أخرى، بل أصبحَ تعلُّمُ اللُّغاتِ الأجنبيةِ ضَرُورَةً مُلِحَّةً لِمُواكبةِ عجَلَةِ التَّقارُبِ المتسارعةِ بين شعوبِ العالَم، ممّا سهَّلَ وأزالَ الكثيرَ مِنَ العَقباتِ التي كانت تَسُدُّ الطُّرُقَ في مجالاتٍ مختلفةٍ مِنَ الحياة، مثل الدِّراسة في الخارجِ وَالعَمَلِ والسَّفرِ والتِّجارةِ والعلاقاتِ

الدّوليةِ، لذا أقرّتِ الدُّولُ العربيةُ تعليمَ اللُّغاتِ الأجنبيةِ الأكثرِ انتشاراً في المَدارسِ، وتَنْشِئَةَ الأطفالِ مُنذُ الصِّغرِ لإجادةِ هذه اللُّغاتِ، إلى أنْ غَدَتِ الغَالِبيَّةُ مِنَ الأجيالِ الحديثةِ تُتقنُ لغةً أجنبيةً أو أكثرَ.

خُطوطٌ حُمرٌ. اللُّغةُ الأمُّ تَطفُو وَسَطَ بَحرِ اللُّغاتِ وتُنازِعُ الغَرَقَ كَيفَ انْحرَفَ الهَدفُ السَّامِي عن مَسَارِه؟

بدأ الأهالي يتحدّثون مع أطفالهم بلُغاتٍ أجنبيةٍ مُنذُ الصِّغرِ لتسهيلِ إتقانِها، وَيَتَبَاهَوْنَ بقُدرةِ أبنائِهم على التَّحدُّثِ بأكثَرَ من لُغةٍ، بل أصبحَ إتقانُ الأبناءِ لتلكَ اللُّغاتِ مَظْهرًا حضاريًّا، وجُزءًا لا يَتجزَّأُ منَ التَّفوُّقِ والرِّفْعةِ، وكلُّ هذا على حسابِ اللُّغةِ العَربيةِ الأُمِّ، مما أَسْهَمَ في ضَعفِ الوازعِ اللُّغوي لدى الأبناءِ، حتى بات بَعْضُهُم يَتحَرَّجُ مِنَ التَّحدُّثِ باللُّغةِ العربيةِ، ويَتَفَاخَرُ بقُدرتِه على التَّعبيرِ بلسانِ اللُّغاتِ الأجنبيةِ بطلاقةٍ، ونسيانِه بعضَ المُفرداتِ العربيةِ.

ومَا يثيرُ القَلَقَ أكثرَ في الآونةِ الأخيرةِ، أنّ الاسْتلابَ اللُّغوي باتَ يُمارَسُ يَوْمِيًّا في المَدارسِ والجامعاتِ، وبعضِ المؤسّساتِ الرسميّةِ، وعلى مَسْمعٍ مِنَ الجميعِ دونَ الاكتراثِ لما يحملُه من تطوُّرٍ خَطيرٍ، وتهديدٍ حَقيقيٍّ للُغتنا الأمِّ.

مُستقبَلُ اللُّغةِ العربيةِ - تَكَهُّناتٌ

إذا قِسْنا التَّوَسُّعَ الحاصلَ في الاسْتِلابِ اللُّغويِّ على مدى السَّنواتِ السابقةِ، سنُلاحظُ اتِّساعَ رُقعةِ الكلماتِ الأجنبيةِ المُسْتَخْدَمةِ أثناءَ التَّخاطُبِ، حتى باتَ البعضُ لا يُحْسِنُ التَّحدُّثَ إلا بلُغةٍ أجنبيةٍ.

هل لاحظتَ ذلكَ؟

طلابُ مدارسَ وجامعاتٍ لا يتحدَّثُون بينَهم سوى لُغةٍ أَجْنَبِيَّةٍ ، آباءٌ يتخاطَبون مع أولادِهم بلُغةٍ أجنبيةٍ، زملاءُ العملِ يَتواصلُون فيما بينهم بلُغةٍ أجنبيةٍ .

فما مصيرُ اللُّغةِ العربيةِ وسَطَ هذا الاستلابِ اللُّغوي الذي يبدو في ظاهرِه اندماجًا حَضَاريًّا، وجزءًا من طبيعةِ التّقدُّمِ والسُّمُوِّ، ويَحمِلُ في طيّاتِه خطرًا داهمًا وقاتلًا لِلُغةِ الأُمِّ !.

أَصْبَحَ جَلِيًّا أنَّ الجيلَ الجديدَ بدأ يَفْقِدُ ارْتباطَه باللُّغةِ الأُمِّ، ويَسْعَى إِلَى التَّحَدُّثِ - بِطَلَاقَةٍ - بلُغاتٍ بديلةٍ ، وكأنَّ ثَمَّةَ مُنافسةً حَقِيقِيَّةً تَجري في الخَفاءِ بين هؤلاءِ المُسْتَلَبِين، للابتعادِ عنِ اللُّغةِ العربيةِ وزيادةِ مُفرداتِهم مِنَ اللُّغاتِ الأجنبيةِ.

هُنَاكَ سؤالٌ يَكبُر ويُثيرُ المخاوفَ مع تَفَشّي عدْوى الاستلابِ اللُّغوي، فما مَصيرُ اللُّغةِ والتَّاريخِ العربي؟ والأهمُّ من هذا كلِّه، هلْ سَيبقى مَن يقرأُ القرآنَ باللُّغةِ العربيةِ بعد مئةِ عامٍ ؟

يَقَظَةٌ لُغَوِيَّةٌ: عندما تَقْرَعُ اللُّغةُ العربيةُ جرسَ الإنْذارِ

لُغَتُنا العربيةُ التي تفوّقَتْ علَى أخَواتِها منَ اللُّغاتِ الأجنبيةِ بعددِ كلماتٍ تَجاوزَ 12 مليون كَلِمَةٍ، وأَغْنَتِ الدارسين والعلماءَ والباحثين بجَزالةِ مُفرداتِها، ودِقَّةِ صياغةِ المعاني وسَبْكِ الجُملِ، وتفرَّدتْ بقُدرتِها على التَّعبيرِ والإيجازِ والإطنابِ، وتميَّزتْ بمرونةِ تَشكيلِ الاستعاراتِ، هذه اللُّغةُ تَستحقُّ أن يُحتفَى بها.

يَحتاجُ الانتماءُ اللُّغويُّ إلى تَغذيةٍ رُوحِيَّةٍ ومُمارسةٍ تبدأُ مُنذُ الطفولةِ، لذا حانَ الوقتُ لِيقظةٍ لُغويَّةٍ لدى الأهالي أنفُسِهم، فإنْ صَلُحَ حالُهم مع لُغتِهم وتكثَّفَ انتماؤُهم لها، فلا بدّ أن يَصطلحَ حالُ الأبناءِ مع لُغتهم الأمِّ.

التَّعلُّمُ والثقافةُ حَجَرانِ أَسَاسٌ تَرتكزُ عليهما منظومةُ التّعليمِ لإنشاءِ جيلٍ قادرٍ على النُّهوضِ بالأُمّةِ ومُنافسةِ الأممِ المُتقدِّمةِ، وتعلُّمُ اللُّغاتِ جُزءٌ من مَنظومةِ التَّعليمِ، ولكنَّ الخطرَ يَكمُنُ في النَّظرِ إلى اللُّغاتِ الأخرى وكأنها بديلٌ للّغةِ الأمِّ يوازيها في الأهميةِ والحُضورِ، بل يتعدَّاها ليكونَ مَظهراً من مظاهرِ الرّفاهيةِ والتَّعالي، كما أنَّ تشجيعَ الأبناءِ على هَجْرِ لُغتهم العربيةِ، يؤدي إلى تَزَعْزُعِ الهُويةِ العربيةِ.

لا بُدَّ مِنَ التَّركيزِ على أنَّ الهدفَ الأوحدَ لتعلُّمِ لُغةٍ أُخرى هو أحدُ جوانبِ العَمليَّةِ التَّربويةِ والثّقافيةِ، إذْ أنَّ هدَفَه التَّحاوُرُ مع الآخرِ، والاطِّلاعُ على الثَّقافاتِ المُتنوِّعَةِ، مع ضمانِ الوَلاءِ لِلُغةِ العربيةِ، وأنْ لا نَبْتَعِدَ قيدَ أُنْمُلَةٍ عن هُويتنا، ولطالما كانت اللُّغةُ هي الهُويَّةَ.

فَمَاذَا ستكونُ نصيحتُك لهؤلاءِ الذين أَوْقَعَهُمُ الِاسْتِلابُ اللُّغَوِيُّ فِي حَبَائِلِه عِنْدَمَا تُقَابِلُهُمْ فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ؟

الخروجُ من وادي عبقر

د/ محمود فرغلي

أسافرُ في الطُّلولِ بلا مَلالِ ويسلمُني الخَيالُ إلى الخيالِ
أحثُّ الخَطوَ مالي من دليلٍ سوى قلبٍ توكَّلَ بالجمال
مجَازِيُّ الملامحِ غَيْرَ أني حَقِيقِيُّ المباهجِ والخِلال
كأنَّ مسَافةً بيني وبيني أشِفُّ فتَسْترُ المعنى ظِلالي
أخُطُّ لخضرةِ المعنى طريقا فيورقُ في دمي وجعُ الرمال
خَرجتُ إلى الحياةِ بغيرِ أُمٍّ فلم أرَضَعْ سوى سُهدِ الليالي
كأني لم أزلْ والعمرُ طِفلٌ أعُبُّ من الأوابدِ ما بَدا لي
ويطْلُبُنِي الصباحُ فلا يراني كأنَّ الشمسَ لم تخْطرْ بِبالي
ويصْخَبُ في ضلوعي ألفُ قلبٍ ينادِي كلَّ عاشقة: تعالي
أنا سَبْيُ الجمالِ بكل أرضٍ أشدُّ لكلِ ذي حسنٍ رحالي
أنا المنذورُ للعشاقِ طَبًّا نَطَاسِيُّ الأواخرِ والأوَالي
تلقتْني العيونُ على التوازي فوافتْها القلوبُ على التوالي
أسامرُ سهدَها وأعود سعيا لأمهُرَ عاشقيْنِ صدى مقالي
وَ لِي لغةٌ تَلينُ لها القوافي فترقصُ مثلَ ربَّاتِ الحِجال
أشدُّ القوسَ كي أصطادَ ذئبًا فتنحرفُ السهامُ إلى الغزال
يغرِّبُ نحو شرقِ الروحِ وجهي فلا أدري يميني من شِمالي
وأهربُ من مرايا الوقتِ طيفا مخافَةَ أن أرى فيها مثالي
رَبِيبُ الظَّنِّ أبحثُ عن يقيني كَبَحْثِ النَّاقِصينَ عَنِ الكَمَالِ
أنا المصلوبُ في "أضحى التنائي" وفي قلبي ترانيمُ الوصال
وللضلِّيلِ كم لانتْ قناتي فكفكفَ وحشةً في طرفِ شالي
أرى ذا رُمَّةٍ يلهو بترُبي ويبني بي قصورًا من رمال؟
بكأسِكَ يا نَوَاسِيُّ انتظرني وقل لي: كيفَ حالُك، كيف حالي
سأرفو جُرحَ أحمدَ بعدَ لأْيٍ وأنزَعُ ما بصدْرِه من نِبَالِ
وأُجلسُه على الكُرسيِّ فردًا ليقطِفَ وحدَه سرَّ المعالي
ستشدو بُرْدَةُ الإيمَانِ باسمي فأصعَدُ في فُيوضاتِ الجلالِ
خلعتُ لخَلوةِ الصحراءِ نَعلي فلا أُشْرَى بجاهٍ أَوْ بمالِ
وفي الحربِ العَوان وُلدتُ طفلًا يلمُّ البرقَ من ألقِ النصالِ
سلاما قبرَ حربٍ شيبتني طبولُ الحربِ تدعو للقتال
فرَغْتُ من الحقائقِ حين صارتْ مطايا حَاكمٍ جمِّ الضلال
وحين غدتْ حبالُ الوُدِّ حُلما تَلاَشَتْ وَسْطَ أَقْبِيَةِ المُحال
سأمضي دونَ أَجْوِبَةٍ لأني وجدتُ البُرْءَ في قلقِ السؤال
أنا الحسنُ الذي قد بيعَ بخسًا ولم يُنهزْ بدَلوٍ أو حِبال
أنا الصوتُ المسجى في نفوسٍ تسفِّدُها الحياةُ على المَلال
وتُبد لها بشدوي نوحَ شاكٍ لأزمنةٍ تطففُ كلَّ غال
سيخرجُ من دمي ظبيٌ شرودٌ يمرُّ على الحياةِ ولا يبالي
وتُضنيهُ اللواحظُ غافلاتٍ يَنَمْنَ على خدودِ البرتقال
بصوتي يسمُرُ الغاوون ليلا فأُترِعُهمْ من الخمرِ الحلال
تَحَجَّرَتِ القلوبُ فما تراني سوى كهلٍ رقيقِ الحالِ بال
ولو فهِموا أتَوْا للشعرِ حبوًا فطيبُ القولِ من طيبِ الفعال

العربية بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق

صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

ديباجة: لا أريد النّظر إلى الوراء إلاّ من باب الحيطة واستلهام الجيّد من الماضي؛ وبالفعل فإنّ ماضي العربيّة مشرق مغدق بما قدّمته العربيّة للعرب وللإنسانيّة جمعاء. لغة لها امتدادات كبرى قبل الإسلام وكانت لغة التّواصل في طريقيْن تجارييْن بنسبة لغويّة مقبولة، كانت حاضرة في Lingua-Franca في طريق الحرير بآسيا، وفي طريق المِلح بأفريقيا، لدرجة أنّ الفاتحين لقارة أفريقيا لم يستصحبوا معهم التّراجمة على غرار فِعْلهم في دخولهم قارة آسيا؛ لأنّ العربيّة مستعملة قُبُلًا من قبل التّجار العرب، وأصبحت مفهومة في حدود قضاء المصالح المُرسلة. فقد نالت العربيّةُ أركانَ العالم في زمن وجيز لا يتعدّى قرناً، بل أصبحت لغة العالم بما ترجمته وبما أنتجته وأضافته للحضارة الإنسانيّة.

مقدّمة: لا ننكر أنّ العربيّة لغة نَامِيَةٌ مُتطوّرة، ولها مُميّزات تُمكّنها مِنِ استقبال مُسْتَحْدَثَاتِ الحضارة التّقنيّة، والإيفاء بمتطلّباتها، وَتَلْبِيَةِ حاجاتها الرَّاهِنَةِ، ولها صفات السّيادة وَالرِّيَادَةِ في مجال العلوم الإنسانيّة. والشّيء الذي تحتاجه الآن الإدارة الفاعلة، واستثمار التّراث العربيّ مع أَوْعِيَةٍ معرفية متفاعلة، بمعطيات الفكر الحضاريّ المعاصر. ويعني هذا الإفادة من التّجارب الغربيّة والآسيويّة النّاجحة؛ بالانغماس في الحداثة، والخروج من التّقليدانيّة والتّصوّرات الخاطئة. وفي كلّ هذا نروم الانطلاق من مُسلّمات الواقع؛ لأنّ الواقع اللغويّ يدفعنا إلى ذكر الافتقار العربيّ إلى الرّصيد المعرفيّ المكتوب والموثّق بمنهجيّة علميّة في مجالات شتّى، وما نقوم به الآن يرتكز على اللغات الأجنبيّة بدواعٍ مُخْتَلِفَةٍ، رغم ما نلحظه من مُرُونَةٍ وَسَلاسَةٍ في بيان مكنونات الأمور العلميّة المَقْدِرَةِ على تمثيل تفصيلاتها من خلال وفرة المادّة والأساليب والتّراكيب. ومع كلّ ما تحرزه يوميًّا نحتاج إلى إعادة النّظر في تلك الأعمال التي تتساهل في نمطيّة الفعاليات اللغويّة، وفي ضعف حركة التّدقيق والتّحكيم اللغويّ المبني على أصول العربيّة وَ ضَوَابِطِهَا التي تسهم في مُنَاقَشَةِ الأخطاء الشّائعة وقضايا المضامين. ولهذا فرهان العربيّة الحالي يَكُونُ قَوِيًّا بقوّة أهلها وارتباطهم بلسانهم، مع استثمار منتجات الحَدَاثَةِ، وطرح أفكار ومحاور مستجدّة؛ بشكل يحقّق التَّنْمِيَةَ اللغويّة الـمُسْتَدِيـمَةَ، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالاستناد إلى العمل التّنمويّ التّطوريّ للغة ، المبني على التّخطيط اللغويّ وفق سِيَاسَةٍ لغويّة رَشِيدَةٍ.

1ـ العربيّة بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق:

لا تحتاج العربيّة إلى تدبيج الكلام عن ماضيها المُغدق في كلّ مجالات الحياة؛ حيث أضحت لغة عالميّة عولميّة أفادت كلّ اللغات، بما أَحَاطَتْ بِهِ من علوم وما طوّرته من معارف العصور، فكانت تعطي وتأخذ، وأضحت عالميّة بما تعطي فقط، وبخاصّة في قارة أفريقيا التي اشتعلت فيها ولقّبت (لغة أفريقيا). لكن الحاضر أدّى إلى عمليات عكسيّة تمثّل في الفراغ القيميّ، وصاحبه غياب ثقافة الاعتزاز اللغويّ، في ضوء اضمحلال الرّوابط القوميّة التي تبني الذّات وتصنع الوَعْيَ لدى العرب. وفي كلّ هذا أصبح الواقع اللغويّ العربيّ مُقلقاً؛ وبخاصّة ما تُحدثه وسائل الإعلام من تأثير في صناعة الرَّأْيِ العامّ والذّوق الفرديّ، مِـمَّا انعكس سَلْبًا على العربيّة التي تمثّل المرآة الحقيقيّة للفكر وللحضارة الإنسانيّة. وهنا بدأ يغيب أمنُ اللغة العربيّة اللغويُّ، بل أصبحت تُهدّد في ذاتها من حيث التّراجع عنها، فما العمل؟ نحتاج إلى طرح رُؤْيَةٍ استراتيجيّة لاستثمار المرتكزات اللغويّة في المعرفة؛ «بوضع الأُسُسِ والأعمال التّطبيقيّة المبنيّة على تخطيط لغويّ قويم، كما يتحتّم علينا الآن إدارة المعرفة عَرَبِيًّا

من خلال الاستثمار في اقتصاديات اللغويات؛ بما يعزز المحتوى اللغويّ العربيّ في المنجزات الحضاريّة[1]» وكلّ هذا لا ينفي الـمُرُونَة في التّفكير والانغماس في صراعات الـمُسْتَجَدَّاتِ من خلال الرّبط بين الـمَاضِي الـمُغْلِق وحركة الحاضر المُشْرِق أحياناً وَ المُقلق؛ لتحقيق تفاعليّة تنمويّة مَتِينَة، بمنهج العمل الجماعيّ، وتطوير فعاليات التّفاعل مع مختلف التّخصّصات، وفتح مواقع وصفحات ومنتديات ومدوّنات لتعزيز الرّوابط الإلكترونيّة وَ تِقْنِيَّاتِهَا المتنوّعة، وَ رِعَايَةِ التّفكير العلميّ النّاقد من أجل تصليح المسارات، وتعديل الخُطَط بما يَتَوَافَقُ مع الأهداف وخصوصيّة اللغة العربيّة، وهذا بغية الإِرْتِقَاءِ بمباني العربيّة ومعانيها من خلال إحياء الأصول وتطوير الأدوات والأساليب. ولهذا علينا العِوَلُ على هذه العوامل.

1- العامل السّياسيّ: سلطة لغويّة إلزاميّة وتوفير الدّعم من أجل تحقيق المكتسبات الجديدة.

2- عامل التّثقيف: توسيع المدارك، وتطويع التّحديات، وتنظيم المبادرات الثّقافيّة.

3- عامل الإعلام من أجل إيصال الرّسَائِلِ السّريعة المؤثّرة بما للإعلام من سُلْطَةٍ نَافِذَةٍ إلى عقول الجماهير، وتشكيل الرَّأْيِ العامّ وصناعة الاتّجاهات.

4- عامل رَقْمَنَةِ المادّة اللغويّة العربيّة، وحوسبتها من خلال تحويل المعارف والمعلومات إلى بيانات رقميّة؛ لتوفير ذخيرة حيّة يمكن إدارتها إلكترونيًّا، بما يحسم نتائجها للسمو بالعربيّة.

5- عامل توسيع دائرة اللغة العربيّة في العالم الأزرق/ الافتراضي بالاستثمار في القدرات والمهارات الفذّة في إنجاز الأفكار الـمُبْتَكَرَةِ التي تنطلق من العربيّة ولذاتها. وكلّ هذا لا يكون متجذّراً إلَّا بالعمل على تحقيق الأمن اللغويّ.

2- تحقيق الأمن اللغويّ: إنّ العِوَل في هذا الأمر على تفعيل دور الإعلام لما لتأثيره المزدوج بين الإِحْتِلَالِ والإخلال للسيطرة على العقول وفق الحقائق. فأمن اللغة العربيّة يبدأ من أمن وسائل الإعلام «التي تحمل دوراً كبيراً في عملية التّحوّل الذِي انتاب اللغة، وبسبب العَوْلَـمَةِ والانفتاح الثّقافيّ تَعَرَّضَ الخطاب الإعلاميّ لِأَزْمَةِ تعدّد المصطلح، وتعدّد المدلول، مما ولّد هجيناً دلاليًّا نَتَجَ عنه هَيْمَنَةُ مدلولات جَدِيدَةٍ أدّت إلى تثبيت المعنى اللغويّ بين الدّال والمدلول».[2] وإنّ اللغة بفضل متغيّرات الإعلام بِحَاجَةٍ ماسّة إلى أمن لغويّ يحمي التّراث والإنتاج المعرفيّ لتتمكّن اللغة العربيّة من مُوَاكَبَةِ العصر، وَهِيَ بحاجة إلى أمن يحافظ على هويّتها ونشاطها وحيويتّها، أمن يحافظ على عدم ذوبانها في اللغات الأجنبيّة، أَمْنٍ يتركها على التّواصل وتقدير الجانب اللغويّ في المعيار. أمنٍ يقيها من حرب المصطلحات، أمنٍ حصين يُسهم في تأمين هويتنا وأصالتنا، ويفتح المجال لحمايتها من ازدواجيّة الدّالِّ والمدلول ، أمن يتحقّق من خلال الشّعور بالقدرة على تحقيق متطلّبات مستعملها، والإِسْتِجَابَةِ لحاجاته من خلال الاستقرار والاستغلال اللغويّ الأمثل.«يقوم مفهوم الأمن اللغويّ العربيّ أساساً على الحفاظ على سلامة اللغة العربيّة وصونها من العاديات والهجْمات التي تضربها في صميمها كلّ حين، فهو يسعى لحمايتها من سلطات العَوْلَـمَةِ وَغُولِ التّدخّل اللغويّ الأجنبيّ السّافر الَّذِي لا يكاد يترك مجالا إلَّا وَدَخَلَهُ شئنا ذلك أم أبينا، ويهدف في مضمونه الخاصّ إلى دَيْـمُومَةِ اللغة العربيّة ومنحها القُدْرَةَ الكَافِيَةَ لِـمُوَاكَبَةِ تطوّرات العصر والتّقنيّة الـمُتَسَارِعَةِ، وأما في مَضْمُونِهِ فإنّه يسعى إِلَى الحِفَاظِ على وجدان الأمّة وكيانها وهيبتها وقِيمَتِهَا التي غزتها المدنيَّةُ الحَدِيثَةُ.»[3]. وإِنّ السّلاح في هذا الوقت هو الكَلِمَةُ الإعلاميّة التي لا تَقِلُّ خطورة عن أثر السّلاح في يَدِ العسكريّ؛ بفعل مفعولها وتؤدي أفكارها دون أن تخلق تغيّراً في الأذهان. ولهذا، ندعو إلى التّحصّن بثقافة الأمّة، وقيمها وحضارتها «فاللغة هي أمارة على شخصيّة الأمّة وذاتيَّتِها الثّقافيّة، ولا تتجلّى الذّاتيّة الثّقافيّة لتمثّل في التّراث الفكريّ والرّؤى الحضاريّة للمجتمع».[4] ومن هنا فإنّ مسألة الأمن اللغويّ قضيّة متعلّقة بالهويّة والانتماء في المقام الأعلى ولذلك من الأَهَمِّيَّةِ أن تُضْبَطَ بِالوَسَائِلِ التي تؤثّر في مستوى الحفاظ عليها، وأن توضع القوانين الصَّارِمَةُ لِـحِمَايَةِ اللغة من المخاطر التي تؤدّي إلى التّهلكة. ولهذا لا بدّ من إيلاء البُعد الإعلاميّ ما يستحقه من أهميّة على الصّعيدين العربيّ والعالميّ لما له من دور مُهِمٍّ وَرَئِيسٍ في الحروب العسكريّة لا يَقِلُّ عن دور القوات الـمُسَلَّحَةِ في الحروب وكما يُقال»... فاللغة وسيلتنا الأساسيّة لنقل المعلومات في المجتمع البَشَرِيِّ ولكن اللغة قادرة على ما هو أكثر من ذلك؛ إذ يمكنها أن تصوغ العالم، أو بمعنى آخر إنها بِـمَنْزِلَةِ منشور تحليل الطَّيْفِ الذي نَنْظُرُ إلى العالم من خلاله[5]».

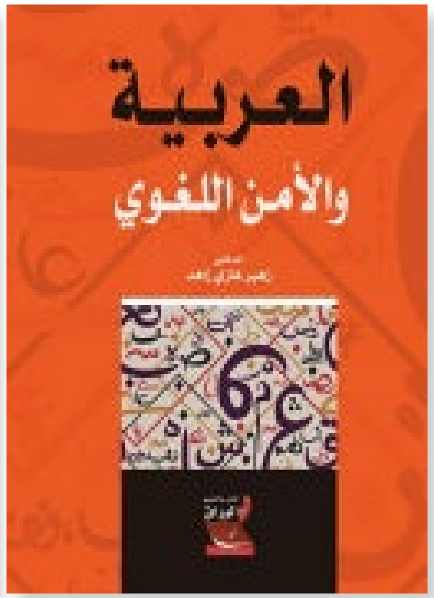

3ـ مكانة العربيّة بين كبرى اللغات: مع كلّ ما

1- حسن عمر دراوشة «المرتكزات اللغويّة لِتَنْمِيَةِ العربيّة في ضوء معطيات الفكر الحضاريّ المعاصر» المؤتمر السّنويّ لِعَامِ 2018 لمجمع اللغة العربيّة الأردنيّ (اللغة العربيّة والفكر المعاصر: بين التّواصل والتّكامل). منشورات المجمع 2018 ص 537.

2 - ميس خليل أَبُو زيادة «الأمن اللغويّ في الإعلام، جدليّة العلاقة بين الدّال والمدلول». المؤتمر السّنوي لعامّ 2018 (اللغة العربيّة والفكر المعاصر: بين التّواصل والتّكامل) 25-26 أفريل 2018. الأردن: 2018، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني، ص 319.

3- عمر محمد أمين هزايمة، الأمن اللغويّ العربيّ. الأردن: 2005 ص 12.

4- شحادة الخوري «واقع اللغة العربيّة عربياً ودولياً» مجلة التّعريب. دمشق: 2001، 21، ص 30-31.

5- نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة. الكويت: 1980، المجلس الأعلى لِلثَّقَافَةِ، ص 223.

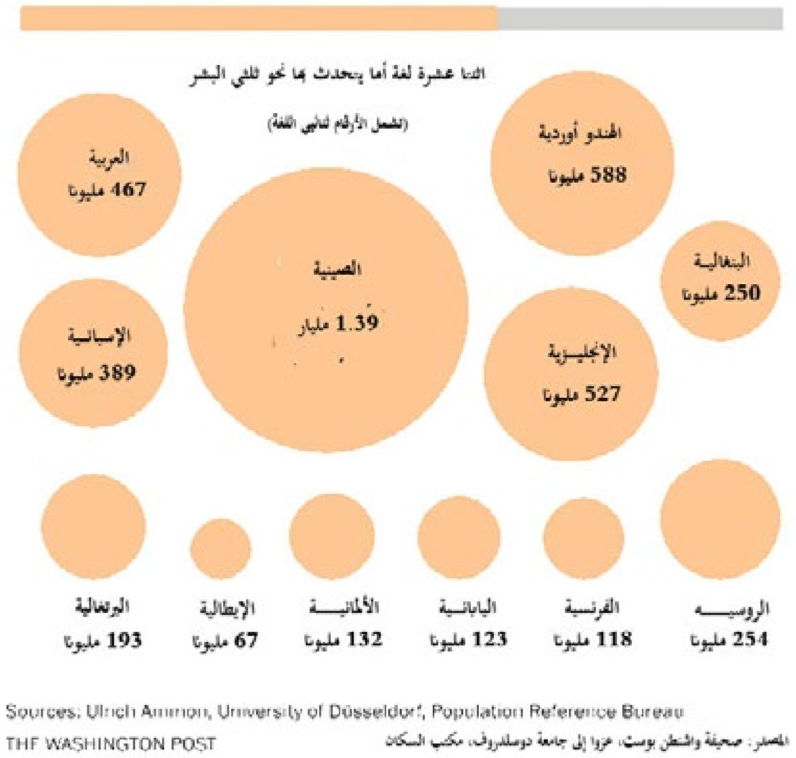

تعيشه من مُضايقات وصُعوبات، وكثير من المُحاربات من أهلها ومن غير أهلها، فلها مَاضٍ مُشرقٌ، ومُستقبل واعد، وهذا من خلال مُؤشّرات علميّة استدلّ بها الباحثون لقياس موقعها الحاضر. ويقول (الخليل النّحوي[6]) رغم كلّ مصائبها، لها مؤشّرات كثيرة توحي بقيمتها بين اللغات الكبرى، وهي:

1ـ مؤشّر المكانة الوجدانيّة: بِعَدِّهَا لُغَةَ الدّين الجامع بين العرب والمسلمين، على أنّها لغةٌ أُمٌّ ولغةُ الأُمّ.

2ـ مؤشّر الوضع الدّستوري: لغة أم+ لغة الأمّة+ لغة رسميّة في اثنين وعشرين (22) بلداً عَرَبِيًا + لغة أجنبيّة رسمية أولى في اثني عشر (12) بلداً، ولغة أجنبيّة رسميّة ثانية في ستة وعشرين (26) بلداً. وهو وضع له علاماته الكبرى بأنّ لها أبعاداً عالميّة كبرى.

3ـ مؤشّر عدد النّاطقين: للعربيّة وجود في القارات الخمس، ولها ما يزيد عَلَى خمسمئة مليون (500000000) من العرب النّاطقين بها لغة أولى رسميّة+ يضاف إليها ما يقرب من المليارين (2 مليار) مسلم+ من الآلاف من المستعربين والمستشرقين والباحثين... كَمٌّ لا يُسْتَهَانُ بِهِ من البشر النّاطقين بها وأصحاب الدّراية والكتابة بخطّها المعياريّ. وفي الصّورة مقام العربيّة بعدد مستعمليها كلغة أمّ. ويبدو لي أنّها تعود إلى إحصائيَّاتٍ قديمة نوعًا ما.

4ـ مؤشّر النّطاق الجغرافيّ: وهذا ما أشرنا له قُبُلًا، بأنّ العربيّة اشتعلت في القارة الأفريقيّة، ونالت في آسيا موقع اللغة الأمّ، واللغة الأجنبيّة الأولى، بلهَ الحديث عن موقعها التّعليميّ في البلاد المسلمة في آسيا الوسطى وألبانيا وجورجيا والقوقاز، وتلك الدّول التي خرجت من طوق الاتّحاد السّوفياتي. دون أن ننسى حضورها الجبريّ الدّينيّ في تلك الكتلة البشريّة الكبيرة في ماليزيا+ إندونيسيا+ الهند+ أفغانستان+ باكستان+ كشمير+ بنغلاديش. وبعض المسلمين في: الكمبوج+ الفيتنام+ بورما. وفي أمريكا اللاتينيّة لها موقع بنسبة كبيرة بعدد المهاجرين العرب، كما لها موقع علميّ في أوربا الحاليّة، بالمهاجرين وبكونها لغة اعتمد عليها في قواعد علومهم. وهي من اللغات التي تُصنّف الآن في المراتب المتقدّمة على غرار الأنكلوفونيّة/ الكمنولث والفرنكفونيّة واللوزوفونيّة والإسپانوفونيّة.

5ـ مؤشّر تعليم العربيّة خارج مواطنها: لها مواقع في كلّ جامعات العالم، دون الحديث عن بعض المدارس الخاصّة والثّانويات، وبعض الفروع التّابعة للدول العربيّة، وهو أمر جدير بالتّنويه؛ حيث نجد العربيّة في كوريا الجنوبيّة كلغة أجنبيّة ثَانِيَةٍ، وفي طوكيو في جامعاتها الكبرى، وفي الصّين بها 66 جامعة تدرّس العربيّة في أقسام الأدب العربيّ، «ولن يخفى على زائر الصّين أو الهند (وليستا من الدّول الإسلاميّة) أن العُملة الورقيّة التي يشتري بها المواطن والوافد خبزه وحاجاته اليوميّة مُحلاة بكتابة عربيّة ترمز إلى عراقة اللغة العربيّة في البلدين، وتمسّك بعض شعوبهما بحروف هذه اللغة، واحترام هاتين الدّولتين غير المسلمتين لخيار تلك الشّعوب في كتابة لغاتها بالحرف العربي». وأما في أروبا، فمقام أصوات العربيّة ظاهر في المالطيّة، وهي لغة كأنّها من أصول عربيّة، وحضور العربيّة في فرنسا قويّ، لدرجة أنّ الفرنسيين لا يستبعدون أنّ فرنسا سوف تصبح عربيّة في الخمسين سنة القادمة، بل سيحكمها رئيس عربيّ، وأنّ الاسم الأكثر تسجيلاً في الحالة المدنيّة في فرنسا سنة 2018 هو (محمّد). وفي بلاد بريطانيا وإيرلندا فإنّه يقع الطّلب على تعلّم العربيّة بشكل يتزايد باستمرار، وَالشَّيْءُ ذَاتُهُ في الدّانمارك وإيطاليا وبلجيكا وألمانيا والسّويد واليونان. ودائماً يزداد الطّلب على فتح الأقسام العربيّة، وبناء المدارس، وتدشين المراكز الثّقافيّة، وفتح المكتبات... كما ينطبق الأمر على

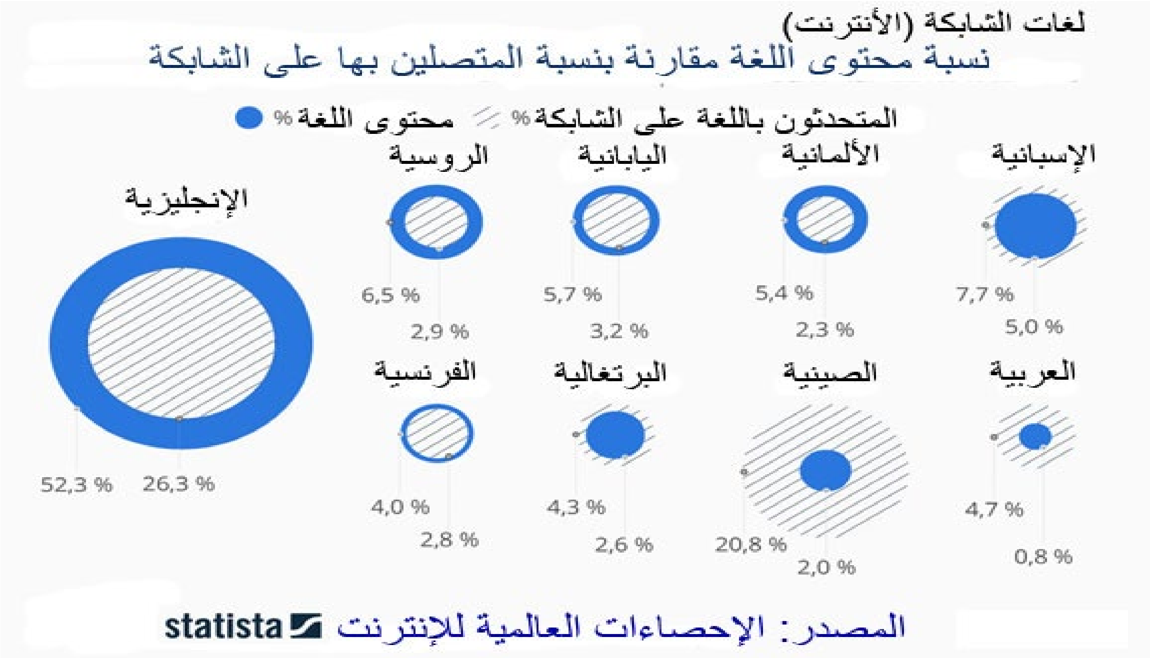

6- الخليل النّحوي «مكانة اللغة العربيّة اليوم بين اللغات الكبرى» محاضرة ألقيت بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة. باريس: 18 ديسمبر 2017، مقرّ اليونسكو. (بتصرّف).

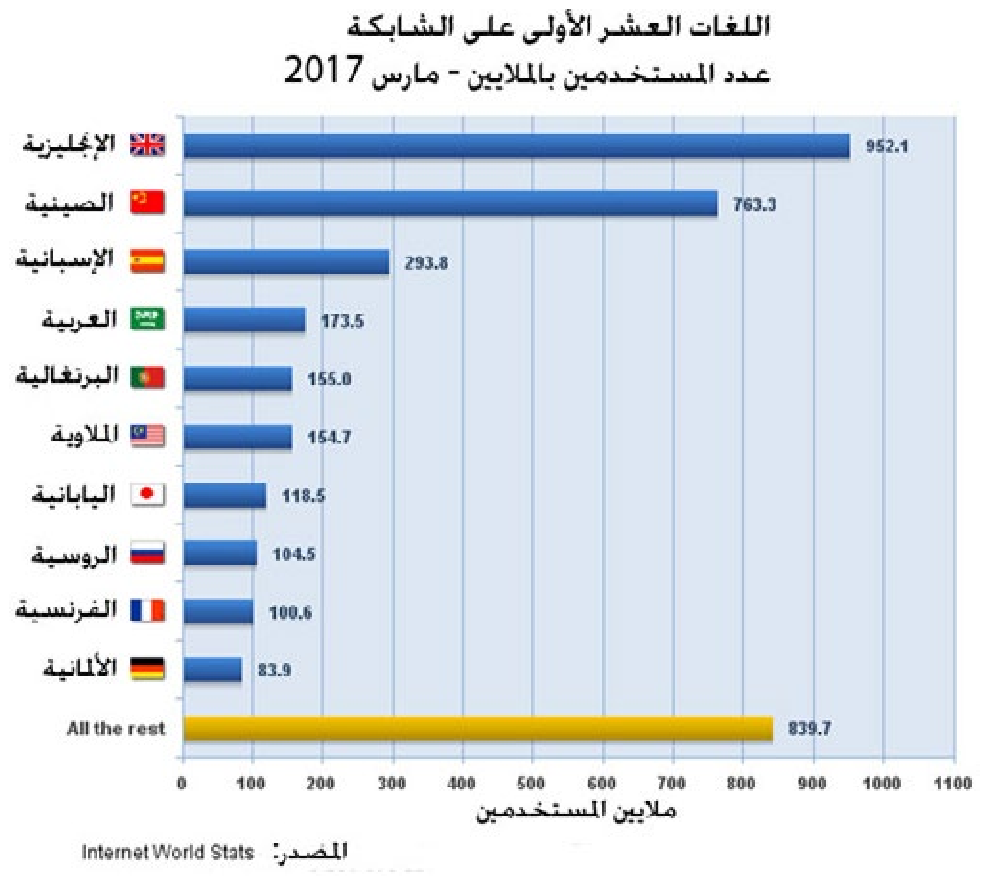

الأمريكيتين، وقارة أستراليا بِالحَمِيَّةِ العلميّة نَفْسِهَا التي تُعلي من مقام العربيّة عند غير أهلها.

6ـ مؤشّر الحضور الإعلاميّ: ما تتحكّم فِيهِ من فضائيات وإذاعات وقنوات محليّة لَهُو من الكمّ = الـمُعْتَدّ بِهِ وكلّ يضخّ بالعربيّة بين المحليّات والهجين، وقليل ما يُذاع بالفصحى المعياريّة. والمهمّ في الأمر أنّ هناك أَرْمَادَةً [الأسطول العظيم ، وهي من أصل إسباني] من المنابر الإعلاميّة العربيّة تعطي المادّة الإعلاميّة بالعربيّة بمستوياتها المختلفة، ويُضاف إليها أنّ كل الدّول الأجنبيّة لها أكثر من إذاعة/ قناة/ فضائيّة بالعربيّة، مع ما يُنشر على مستوى اليوتيوب، وغير ذلك من وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

7ـ مؤشّر الذّات اللغويّة: إنّ العربيّة لها ميزة الشّساعة وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ خَصَائِص وَجُذُورٍ لا توجد في أيّ لغة أخرى ويكفي أنّ مختلف التّقليبات التي تأتي على كلماتها= الثّلاثيّ+ الرّباعيّ+ الخماسيّ (المجرّد والمزيد) يساوي 12302912 كلمة، واللغة الثّانِيَّة هي الإنكليزيّة تحتوي على 600000 كلمة، والفرنسيّة على 150000 كلمة، والإسبانيّة على 180000 كلمة، والرّوسيّة على 130000كلمة، والصّينيّة على 500000 كلمة. وما يلاحظ أنّ الفرنسيّة التي نستعملها في بلادنا المغاربيّة تفوقها العربيّةُ بـ 82 مرّة فكيف تضيق العربيّةُ بما تحمله من زَخْمِ الكلمات التي يُمكن أن يخرج منها المعنى الحقيقيّ/ المجازيّ/ البلاغيّ، وما يتعلّق بِذَلِكَ من دلالات حسب المجالات، ومصطلحات العلوم.

8ـ مؤشّر الحضور على الشّابكة: قبل سنة 2012، كانت العربيّة عدماً، ولكن الآن أصبحت تُنازع الإسبانيّة في الرّتبة الثّانِيَةِ، بما لها من مواقع كثيرة، ومحرّكات بحث، وما يتبع ذلك من وسائل التّواصل الاجتماعيّ رغم المضايقات التّقنيّة في التّرجمة وفي البرمجيَّات السّريعة وفي بناء المنصّات، ويبقى مؤشّرها ضعيفاً مع كلّ الجهود التي تُبذل من رجال المعلوماتيّة واللسانيين. وإنّ الزّمان كفيل بأن يجيبنا أنّ العاملين على تطويرها لا يزالون يعملون، وسيكون لها المقام العلميّ المطلوب. وَالآن تُوجَدُ تَغْطِيَةٌ محتشمة من قبل الأقمار الصّناعيّة العربيّة، ولكن هناك بثّ عن طريق السّاتلايتات الغربيّة التي تتكفلّ بالعربيّة لأغراض اقتصاديّة وعلميّة. ويبرز الشّكل التّالي مقام العربيّة في الشّابكة كما يلي:

وفي إحصاء حديث تبرز لنا العربيّة في الرّتبة الرّابعة من حيث عدد المستخدمين:

الخاتمة: مهما تحدثنا عن مقام العربيّة فلا نَفيها حقَّها تجاه ما قدّمته للحضارة الإنسانيّة، ولكن المقام يتطلّب منّا الحديث عن سَدَنَتِها، فما واجِبُهُمْ ؟، وما المطْلُوبُ من مؤسَّساتها؟. العربيّة يعلو مقامها حَقًّا، ولكن يجب النّظر في قضاياها المعاصرة، ومن الأهميّة بمكان أن نتدارَسَ فيما بيننا شؤونها وأحوالها. وعلينا جميعًا أن نشدّ على أيادي بعضنا لتجسيد الآمال المعقودة، وأن نضع بين هذا الجيل برامجَ ومشاريعَ كبيرة وعمليّة؛ تُيَسِّرُ سُبُلَ استعمالها وتوظيفها والتّحدّث بها. ومن الضّروريّ أن نستفيد مِن كلّ ما هو جديدٌ في المجال التّكنولوجيّ والرّقميّ لِخدمة هذه اللّغة. وعلينا فتح نوافذنا على البحوث الجَارِيَةِ عند الآخرين، وَنَنْتَفِعَ بِالأَسَالِيبِ العلميّة التي خدموا بها لغاتهم. وها هو دور العلماء والمؤسّسات في تجسيد قضاياها بشكل علميّ، والعمل على تقديم الحُلُولِ النَّاجِعَةِ لِـمُوَاكَبَةِ العَصْرِ الرّاهن، وإلاّ سنبقى نراوح مكاننا ونجترّ المقول، ونعيش في دوامة الأفول، واللغات في تطوّر يُورِثُ الذُّهُول.

> **"إنّ مسألة الأمن اللغويّ قضيّة متعلّقة بالهويّة والانتماء في المقام الأعلى ولذلك من الأهَمِّيَّةِ أن تُضْبَطَ بِالوَسَائِلِ التي تؤثّر في مستوى الحفاظ عليها، وأن توضع القوانينُ الصَّارِمَةُ لِحِمَايَةِ اللغة من المخاطر التي تؤدّي إلى التّهلكة".**

> **"من الضّروريّ أن نستفيد مِن كلّ ما هو جديدٌ في المجال التّكنولوجيّ والرّقميّ لِخدمة اللّغة العربيّة".**

العلاقة بين اللفظ والمعنى:
آراء ومذاهب

أحمد أحمد عمر

د. عبد السلام المسّدي

مما لا شك فيه أن للمعاني في الكون رموزًا_ غير اللغة_ متعددة تحملها، ذلك بأن الكثير من المعلومات التي نستقبلها يوميا لا تأتينا عن طريق دَوَالَّ لغوية وإنما عن طريق رموز غير لغوية، مثل «الأثر» و«الإشارة» و«الصورة»، وتختلف العلاقات بين هذه الرموز وما توحي إليه، حيث يمكن عد ثلاثة أنماط من هذه العلاقات، هي:

- العلاقة الطبيعية، ويمكن ترجمتها بعلاقة بين سبب ومسبب، مثل أن تحس بتقلّص في معدتك فتعلم أنك جائع. إذن إحساسك بالجوع مسبب_ بشكل مباشر وطبيعي _ عن تقلص المعدة.

- العلاقة المنطقية، وهي علاقة ترتكز على الإدراك والتفسير، كأن تنظر فوق رأسك فترى السحابة، فإذا كانت داكنة حافلة توقعت المطر، وإذا كانت بيضاء صافية كان لها معنى آخر، أو دلالة الأثر في الرمال على مرور إنسان أو جمل أو بقرة أو غيرها من ذلك المكان، فنوع الأثر هو الذي يحدد لنا أي هذه الكائنات مر من هنالك. والعلاقة بين الرمز والمعنى في كل ذلك علاقة منطقية ذهنية.

- العلاقة العرفية، وهي علاقة تقوم على الدوالِّ اللغوية، وبها دل الاسم على المسمى. فهي إذن غير طبيعية ولا منطقية، ولكنها عرفية.[1] وتبعا لهذا النوع الأخير تدخل دوالُّ اللغة كجزء من نظام إشاريٍّ عام هو أساس التواصل بين بني البشر. وتُعَدُّ هذه الدوالُّ اللغويةُ أهم الرموز الدالة، «لسهولتها؛ فإنها [تَخْرُجُ] من كيفية التنفس الضروري، ولوجودها عند الحاجة وانقضائها عند انقضائها».[2] وأهم وسيلة للتواصل في جنس الإنسان؛ لقدرتها الفائقة والكبيرة على الدلالة وفي كل مستويات الحياة.

وحين كانت الوحدة المعجمية هي أساس الدلالة في هذا النظام اللغوي الدال نقف هنا لمعرفة كيف نشأت وتنشأ هذه الوحدة المعجمية، يقول الدكتور عبد السلام المسدّي في هذا الصدد: «فالعنصر اللغوي في أصل نشأته_ من الوجهة الاعتبارية لا من جهة الزمن الفيزيائي_ رمز يقوم بضرب من المواضعة لينوب بحضوره عن إحضار الأشياء المتحدث عنها، سواء أكانت مما يتسنى حضوره أو مما يتعذر».[3] وتتنزل محورية هذه الوحدة المعجمية في التواصل العام بين البشر في استعاضتها عن مشقة إحضار الأشياء، يضيف المسدّي: «فكأنما الذي ساق الإنسان إلى التوسل باللغة إنما هو نزوعه إلى المجهود الأدنى بحكم تركيبه، وبدافع غريزته التي قوامها الاقتصاد الأدائي؛ أن يستأثر بأكبر النفع بالذي يتسنى من أضعف المجهود».[4]

من هنا إذن لا غرابة أن تسترعي الوحدة المعجمية الفكر الإنساني منذ العصور التليدة، فنجد المفكرين من اليونان القدماء «يتساءلون عن أسرارها، ويعجبون لتلك المجموعات الصوتية التي ينطق بها المرء فتعبر له عما يدور في خلده، وتحقق له غرضا دنيويا نافعا،[...] وكان أوضح ما استرعى انتباههم فتساءلوا عنه تلك المشكلة التقليدية في الربط بين اللفظ ومدلوله».[5]

وقد انقسم فلاسفة اليونان في تفسير العلاقة الرابطة بين الدال ومدلوله إلى قسمين: «فكان سقراط وأفلاطون ممن يرون أن الصلة بين الأصوات والمدلولات طبيعية حتمية، في حين أن أرسطو كان يراها صلة عرفية لا تعدو أن تكون بمثابة رمز اصطلح الناس على وضعه للمدلول».[6]

وكما شغلت هذه الإشكالية فكر فلاسفة اليونان كذلك حيرت علماء الإسلام، فانقسموا حولها إلى خمسة أقسام:

1- قسم يقول بأن الألفاظ تدل على المعاني بذواتها، ويمثله عبّاد بن سليمان (ت250هـ).

2- قسم يرى أن الله جل جلاله هو الذي وضع الألفاظ بإزاء المعاني، ومن القائلين به الشيخ أبو الحسن الأشعري (ت324هـ)، وابن فورك (ت406هـ).

3- قسم يذهب إلى أن الناس هم الذين تواقفوا على دلالة الألفاظ على معانيها، وهو رأي أبي هشام الرفاعي(ت248هـ) وأتباعه.

4- قسم يَعُدُّ أهله أن بعض دلالة الألفاظ على معانيها من وضع الله ﷻ والباقي بوضع الناس. إما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله ﷻ ، وهو مذهب قوم، أو الابتداء من الله ﷻ والتتمة من الناس، وهو مذهب أبي إسحاق الإسفراييني (ت418هـ).[7]

5- قسم يرى صاحبه، وهو الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، أن دلالة الألفاظ على معانيها عفوية لا تخضع لأي نظام معين.

ويخلُص السيوطي ـ حسب تقسيمه الرباعية ـ إلى أن العلاقة بين الدوالِّ ومدلولاتها حصرت في مذهبين: إما أن تكون توقيفية من عند الله تعالى أو اصطلاحية بتواقف الناس، يقول: «... ودليلُ إمكان التوقف احتمالُ خلق الله تَعَالَى الألفاظَ ووضعِها بإزاء المعاني، وخلْقِ علوم ضرورية في ناس بأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني. ودليلُ إمكان الاصطلاح إمكانُ أن يتولّى واحدٌ أو جمعٌ وضعَ الألفاظ لمعان، ثم يُفْهِمُوهَا لغيرهم بالإشارة، كحال الوالدات مع أطفالهن».[8]

ونضيف نحن مذهبا ثالثا إلى مَذْهَبَيِ السيوطي هو مذهب الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ فتكون العلاقة عند علماء المسلمين إما توقيفية أو اصطلاحية أو عفوية.

ثم تأتي اللسانيات الحديثة فتنتزع «الأردان والشوائب التي لحقت المفردات من جراء الربط المباشر بين الاسم والمسمى والدال والمدلول وتقترن باعتباطية الرابط القائم بين الدالِّ والمدلول»،[9] وتتخلص من القول بطبيعية العلاقة بين الدال والمدلول، ومن كون القوة الدالّة تكمن في الدالّ نفسه؛ إذ «ليست وظيفة اللغة في هذا أن تخلق وسطا صوتيا للتعبير عن الأفكار، ولكن أن تقوم بدور الوسيط بين الفكرة والصوت، في حالة تدعو كلا منهما إلى الآخر»،[10] لذلك يَعُدّ دي سوسير DE SAUSSURE الصلة بين الدال والمدلول «اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مُطَّرِدٍ».[11]

انطلاقا من الآراء السابقة التي تمثل أهم محطات تاريخ الفكر الإنساني حول إشكالية العلاقة بين الدال والمدلول يمكن أن نُلَخِّص كل تلك الآراء في أربعة مذاهب:

الأول: يقول أهله بأن الصلة بين الدوالِّ والمدلولات طبيعية حتمية، ويمثله سقراط، وأفلاطون، وعبّاد بْنُ سليمان(ت250هـ).

الثاني: يرى أصحابه أن دلالة الدوالِّ على مدلولاتها أمر توقيفيٌّ، ويقول به بعض العلماء المسلمين مثل الشيخ أبي الحسن الأشعري (ت324هـ).

الثالث: يَعُدّ القائلون به العلاقَةَ بين الدوالِّ والمدلولات عرفيَّةً كما صرح بذلك أرسطو، توافقيَّةً/ اصطلاحيَّةً كما قال أبو هشام الرفاعي (ت248هـ).

الرابع: يقول أهله بعفوية/ اعتباطية العلاقة بين الدالِّ والمدلول، ويمثله عبد القاهر الجرجاني ودي سوسير وكل من جاء على شاكلته.

ومن خلال قراءة فاحصة لهذه المذاهب يصبح الرأي القائل بأن العلاقة بين الدوالِّ ومدلولاتها طبيعيَّةٌ حتميَّةٌ مُتَجَاوَزًا، من جهة أولى لتعذر لمس القائلين به من فلاسفة اليونان (سقراط وأفلاطون)ـ أنفسهم ـ هذه الصلة في

لغتهم اليونانية، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «ولما تبين لهم غموض هذه الصلة بين ألفاظ لغتهم اليونانية ومدلولاتها، ولم يستطيعوا لها تعليلا مقبولا تستريح إليه النفس وتطمئن إليه العقول، أخذوا يفترضون أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا و تفسيرا»،[12]

ومن جهة ثانية، لقول السيوطي: «والمحققون متوقفون في الكل، إلا في مذهب عبّاد، ودليل فساده أن اللفظ لو دلَّ بالذات لفهِم كل واحد منهم كل اللغات، لعدم اختلاف الدلالة الذاتية، واللازم باطل، فالملزوم كذلك. واحتجّ عبّاد بأنه لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من بين الألفاظ بإزاء معنى من بين المعاني ترجيحا بلا مرجح، وهو محال. وجوابه أن الواضع إن كان هو الله تعالى فتخصيصه الألفاظ بالمعاني كتخصيص العالَم بالإيجاد في وقت من بين سائر الأوقات، وإن كان هو الناس فلَعلّه لتعين الخطران بالبال».[13]

وحين ننظر إلى رأي القائلين بأن اللغة توقيف من الله، واستدلالهم بالآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾،[14] ورغم تفسير الدكتور تمام حسان للآية بأن «اللغة التي علمها الله تعالى لآدم هي الاستعداد الفطري لاتخاذ لغة ما والتفاهم بواسطتها؛ فاللغة التي وهبها الله له هي ظاهرة اجتماعية وكان DE SAUSSURE يسميها Langage وليست لغة بعينها مما يسميه هو Langue ولا كلاما مما يسميه Parole»[15] فإن اجتهادات المفسرين حول تفسير الآية هي التي تحدد المعنى المراد بذلك، وباب الاجتهاد مفتوح.

وحين نفحص أدلة القائلين بأن العلاقة بين الدوالِّ ومدلولاتها عرفية/ توافقية/ اصطلاحية، وأن «لو كانت العلاقة بين الكلمة وما تدل عليه طبيعية أو منطقية لَتَوَحَّدت الدلالات في كل لغات البشر، ولكن اختلاف الاصطلاح والعرف من مجتمع إلى آخر جعلنا نقول «بابٌ» في العربية، أما في الإنجليزية فيقولون لِلشَّيْءِ نَفْسِهِ «Door»، وفي الفرنسية يقولون «Porte».. وهكذا»،[16] نكون أمام حقيقة هي وضوح المكون الاجتماعي في اللغة.

أما حين ننظر إلى رأي القائلين بالاعتباطية بين الدوال ومدلولاتها، ومن أنه لا سببية ولا مُسَوِّغِيَّةَ لتلك العلاقة، واستدلال عبد القاهر الجرجاني ـ وقد كان سبّاقا إلى هذه الفكرة ـ على ذلك بـ«أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضىً عن معنًى، ولا لها بمقتفٍ في ذلك رسمًا من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه؛ فلو أن واضع اللغة كان قد قال «ربض» مكان «ضرب» لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»،[17] فإن ذلك هو الفهم الصحيح لكنه المشكل، إذ «أن فكرة العلاقة الرمزية بين الكلمة ومدلولها هي ما استقر عليه الفكر اللغوي».[18]

وبالجملة فإن المنطق والعقل يميلان إلى هذين الرأيين الأخيرين؛ إذ «اللغة في عمومها نظامٌ عرفيٌّ يشرح العلاقة الاعتباطية بين الرمز وبين المعنى من حيث عرفيَّتُها واطِّرَادُها».[19] أو بعبارة أخرى، تقع عرفية الوحدة المعجمية واطرادها من العلاقة الاعتباطية بين دالّها ومدلولها موقع الصفة الملازمة للشيء من الشيء نفسه، كالزرقة للسماء؛ فالزرقة ـ يمكن أن نقول ـ ثوب للسماء. وقياسا على ذلك، فالعرفية والاطّراد في الوحدة المعجمية ثوب للاعتباطية والعفوية في العلاقة بين دالّها ومدلولها.

إلا أن تشكيل عناصر (الاعتباط والعرف والاطراد) في

الوحدة المعجمية يختلف باختلاف طبيعة الوحدات المعجمية نفسها، فالوحدة المعجمية المسماة «العبارة المَثَلية» لم يكن أول نطق بها يعطي دلالتها التي لها حين أصبحت في قالب مَثَل، فالذي لَفَظَ «رجعتُ بخفّيْ حُنين» لم يرد بها دلالتها التي صارت لها فيما بعد (الفشل والخيبة)، إنما وصف واقعه وما رجع به بتركيب من وحدات معجمية، لكن المجتمع لسبب فشل صاحب القول وَخَيْبَتِهِ أعاد «تدوير» هذه الجملة وأطلقها وحدة معجمية واحدة_ بعد أن كانت تركيبا من وحدات معجمية_ في قالب «عبارة مَثَلية» لتحمل معنى الخيبة والفشل؛ فكان إطلاقه المَثَل على هذا المعنى اعتباطا اكتسب عرفيته الاجتماعية من خلال الاطراد والشيوع.

ورغم القول باعتباطية العلاقة بين الدوال ومدلولاتها وثوبها العرفي الذي تكتسي إلا أن ذلك لا يمنع وجود وحدات معجمية تدل ألفاظها على مدلولاته، وسوسير نفسه يعترف «بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة والتي تُسمّى Onomatopoeia، ويقرر أنها من القلة في اللغات، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الإنسانية، بحيث لا يصح أن نتخذ منها أساسا لظاهرة لغوية مطردة أو شبيهة بالمطَّرِدَة. هي إذن في رأيه مجرد ألفاظ قليلة تَصَادَفَ أن أشبهت أصواتُها دلالاتِها».[20]

الهوامش:

1- ينظر: د. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط/4، 2000، ص:110-111.

2- الأرموي، سراج الدين محمود بن أبي بكر (ت682هـ)، التحصيل من المحصول، تح: عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، 1988، ج/1، ص:197.

3- د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، ص:13.

4- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

5- د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/3، 1976، ص:62.

6- المرجع السابق، ص:56.

7- ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى بك/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1987، ج/1، ص:16؛ و_الأرموي (ت682هـ)، التحصيل من المحصول، مرجع سابق، ج/1، ص:194.

8- السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ج/1، ص: 17.

9- د. ريمون طحان، الألسنية العربية: مقدمة-الأصوات-المعجم- الصرف، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط/1، 1972، ص:103.

10- د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة/ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 1979، ص:278.

11- د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص:70.

12- المرجع السابق، ص:63.

13- السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ج/1، ص:16-17.

14- سورة البقرة، الآية:31.

15- د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة (مطبعة النجاح الجديدة)، الدار البيضاء- المغرب، ص:318.

16- د. حلمي خليل، الكلمة: دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، ط/2، 1998، ص:90.

17- الجرجاني، الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1984 ، ص:49.

18- د. حلمي خليل، الكلمة: دراسة لغوية معجمية، مرجع سابق، ص:98.

19- د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص:42.

20. د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص:71.

جدلية العلاقة بين الروائي واللغة

«لغة الفن الروائي عند نجيب محفوظ نموذجاً»

خلف أحمد أبوزيد

إذا أردنا أن نتكلم عن فن الرواية، أو غَيْرِهِ من أنواع الفنون الأدبية من شعر ومسرح، سوف نجد أنفسنا مضطرين، إلى الحديث عن اللغة، لأن كل الأجناس الأدبية تندرج، تحت مسمى "فن القول"، فاللغة هي أداة الأدب وهي وسيلة التعبير عند الأديب، غير أن الحديث عن اللغة في الفن الروائي والقصصي، أمر بالغ الصعوبة من الحديث عن اللغة في فن الشعر أو المسرح، لأن اللغة في الشعر أو المسرح ذات طبيعة واحدة، فالشاعر في القصيدة يعبر عن ذاته، دون أن يلجأ إلى قناع، لأنه لا يعبر عن غيره، فصوت الشعر هو صوت الشاعر نفسه، وكذلك الحال بالنسبة لفن المسرح، لأن النص المسرحي يقوم على الحوار وحده، ومعنى هذا باختصار شديد " أن اللغة في الشعر والمسرح ذات طبيعة تعبيرية واحدة أو متقاربة على الأقل"[1] لكن الأمر يختلف بالنسبة لفن الرواية والقصة، ذلك لأن في الفن الروائي يحاول الكاتب أن يوهم قارئه فنيًّا، أنه يقدم له شريحة حية من الحياة الواقعية لشخصيات بأعينهم، يعيشون في واقع اجتماعي محدد وَفي مكان وزمان محددين أيضاً، مِـمَّا يضع الروائي أمام معضلة كبيرة، من حيث كونه يجعل أبطاله يعبرون عن الواقع الخاص الذي يَعِيشُونَهُ في إِطَارٍ فنيٍّ، يجعل لغة الفن القصصي ذات مستويين مختلفين هما: السرد والحوار. وأمام هذه الثنائية في اللغة الروائية، انحصر موقف الروائيين العرب من قضية اللغة، في اتجاهين كبيرين، الاتجاه الأول: استخدم ممثلوه الفصحى في السرد، والعاميَّة في الحوار ــ من أجل الإيهام بالواقعية، حيث ينطقون الشخصيات في الرواية باللغة التي يتكلمون بها في الحياة اليومية. والاتجاه الثاني من الكتاب يرون في هذه القضية رأياً آخر، وهو ضرورة استخدام الفصحى في السرد والحوار ــ على حد سواء، لأنهم يرون ــ أن العالم القصصي كله من صنع الأديب، والأديب يصنع أدبًا، وليس هناك أدب بلا صَنْعَةٍ، لكن المهارة في الأدب هي أن تخفي الصنعة، بحيث تبرز الصياغة كما لو كانت عملًا تلقائيًّا، يصدر عن طبع وتلقائية، وكان الأديب الكبير نجيب محفوظ من أنصار الاتجاه الثاني، وهو استخدام الفصحى في فنه الروائي والقصصي.

نجيب محفوظ والكتابة بالفصحى:

استخدم الأديب الكبير نجيب محفوظ، اللغة العربية الفصحى في أعماله الروائية والقصصية، وعمل على تطويعها وتبسيطها وتقريبها من اللغة الشعبية والوجدان الشعبي، ورفض بكل إصرار جَمِيعَ التحذيرات والتحريضات والإغراءات، التي حاولت أن تدفعه إلى الكتابة بالعامية، حيث جُوبِهَ محفوظ من بعض النقاد، بمن يقول إن إنطاق الشخصيات الشعبية البسيطة بحوار فصيح فيه افتعال وربما تزييف لهذه الشخصيات، وكان رده على ذلك، بأن هذه الرؤية هي حجة ظاهرية، لأن الأدب ليس نقلا حرفياً وفوتوغرافياً للحياة المعيشية كما هي، وإلا صار الأديب الذي يفعل ذلك مجرد كاتب محدود الأهمية والتأثير، فأي شخصية شعبية لها ظاهر خارجي ولها أعماق أخرى دقيقة، هي التي تصورها على حقيقتها الأصلية، والذين يهتمون بالظاهر الخارجي، يرسمون صورة ناقصة تكاد تكون مزيفة للشخصية الشعبية، وَعَدَّ "اللغة العامية من جملة الأمراض التي يعاني منها الشعب، والتي سيتخلص منها حتماً عندما يرتقي، وأنها من عيوب مجتمعنا مثل الجهل والفقر والمرض تماماً، والعامية مرض أساسه عدم الدراسة، والذي وسع الهوة بين العامية والفصحى عندنا عدم انتشار التعليم في البلاد العربية، ويوم ينتشر التعليم سيزول هذا الفارق أو سيقل كثيراً، ألم يُؤَثِّرْ انتشار الراديو في لغة الناس، حيث بدأوا يتعلمون الفصحى ويفهمونها ويستسيغونها ؟ وأنا أحب أن ترتقي العامية وأن تتطور الفصحى لتتقارب

(1) د/ طه وادي، لغة الفن القصصي، مجلة المنهل، المملكة العربية السعودية، العدد 504، عام 1993، ص 164.

اللغتان وهذه هي مهمة الأدب في رأيي"[2] .

ومن هذا المنطلق، كانت الفصحى من السمات الأساسية في أدب نجيب محفوظ، حيث استخدم لغة فصيحة بسيطة لَيْسَتْ صعبة أو بها تعقيد، وهذا ما جعل الدكتور طه حسين، يشيد بهذه اللغة البسيطة الفصيحة في مقالة له عن رواية"بين القصرين" لنجيب محفوظ، حيث يقول " أن جانباً من روعة بين القصرين، يأتي من لغتها أيضاً، فهي لم تكتب في اللغة العامية المبتذلة، ولم تكتب في اللغة الفصحى القديمة التي يشق فهمها على الناس، وإنما كتبت في لغة وسطى يفهمها كل قارئ مهما يكن حظه من الثقافة، يفهمها الأميون إن قُرئت عليهم، وهي مع ذلك لغة فصيحة لا عوج فيها ولا فساد"[3]، فمحفوظ كان يستخدم أساليب رشيقة من أساليب العربية المعاصرة، مِمَّا جعل لغته غير مبالغة ولا متقعرة ولا سَاعِيَةٍ إلى الإدهاش ولا منجذبة نحو الغريب المهجور، بل كانت دقيقة مقتصدة تخرج اللفظة أو التعبير وسط نسيج عربي فصيح، فتعطي الأثر الذي يريده الكاتب تماماً، حتى عند استخدامه للعاميَّة أحيانا، نجدها اللغة الرائقة المصفاة اللفظة في مكانها لا نابية ولا مقلقة، حيث الجملة تؤدي إِلَى الأُخْرَى دون قسر أو افتعال، فهي سهلة النطق جميلة الإيقاع، تظهر لنا جلية من خلال لغة السرد ولغة الحوار، وهذا ما سوف نلقي عليه الضوء بِشَيْءٍ من التفصيل فيما يلي.

لغة السرد:

بداية نؤكد أَنَّ السرد مصطلح أدبي، يقصد به ذلك النوع من الأسلوب أو طريقة التعبير، التي ينوب فيها الروائي عن الشخصيات، في سرد أو وصف أو تصوير لِأَرْكَانِ الحدث ومكونات الشخصية، وعناصر المكان وطبيعة

(2) فؤاد دوارة ، عشرة أدباء يتحدثون، الناشر الهيئة المصرية للكتاب، عام 2012، ص 367.

(3) د/ طه حسين، من أدبنا المعاصر، الناشر القومية للطباعة، 1958، ص181

الزمان القصصي، وقد أبدع نجيب محفوظ في أساليب السرد التي استخدمها فَصِيحَةً ومعبرة بطريقة فَعَّالَةٍ مستخدماً لغة فصيحة سَهْلَةً كهذا الـمُفْتَتَحِ السردي الوصفي، الذي بدأ به رواية " زقاق المدق". تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تُحَفِ العهود الغابرة، وأنه تألق يوماً في تاريخ القاهرة المعزية كَالكَوْكَبِ الدري، أي قاهرة أعني؟ .. الفاطمية؟.. المماليك؟..؟ السلاطين؟، علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار، ولكنه على أية حال أثر، وأثر نفيس. كيف لا وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصناديقية"، ويستمر في هذا السرد الوصفي بهذه اللغة البسيطة المتدفقة حتى يقول "آذَنَتِ الشمس بالمغيب، والتف زقاق المدق في غلالة سمراء من شفق الغروب، زاد من سمرتها عمقاً أنه منحصر بين جدران ثلاثة كالمصيدة له باب على الصناديقية، ثم يصعد صعوداً في غير انتظام، تحف بجانب منه دكان وقهوة وفرن، وتحف بالجانب الآخَرِ دكان ووكالة، ثم ينتهي سريعاً- كما انتهى مجده الغابر - ببيتين متلاصقين، يَتَكَوَّنُ كلاهما من طوابق ثلاثة"[4] ، وكهذا الموقف الأدبي في السرد من رواية " الشحاذ"، حيث تؤدي صفحة واحدة في دفقة واحدة على الورق، ما لا تؤديه الصفحات الطوال، مما يسمى بوصف الواقع أو المعلومات عن الشخصية التي يمدنا بها المؤلف العالم بأدق تفاصيلها في لغة سردية فَصِيحَةٍ وبسيطة في آن واحد، حيث يقول " ثم أوقف السيارة في جانب من الطريق المقفر وغادرها إلى ظلمة شاملة غريبة كثيفة بلا ضوء إنساني واحد. لا يذكر أنه رأى منظراً مثل هذا من قبل، فقد اختفت الأرض والفراغ ووقف هو مفقوداً تماماً في السواد، ورفع رأسه قبل أن تألف عيناه الظلام فرأى في القبة الهائلة آلافَ النجوم عناقيد وأشكالاً ووحدانا، وهب الهواء جافًّا لطيفا منعشا موحدا بين

(4) نجيب محفوظ، رواية زقاق المدق، الناشر مكتبة مصر، عام 1977، ص 5

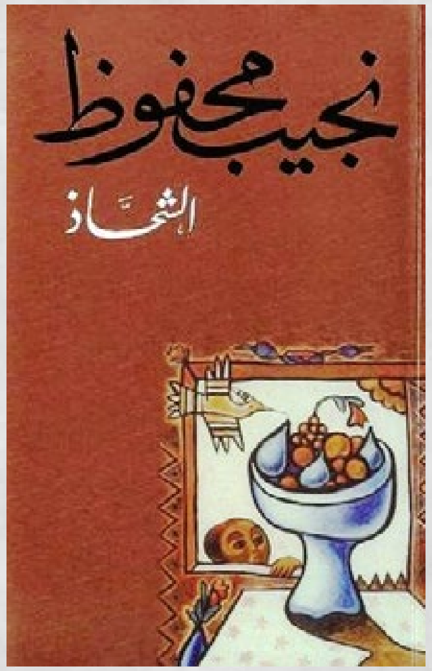

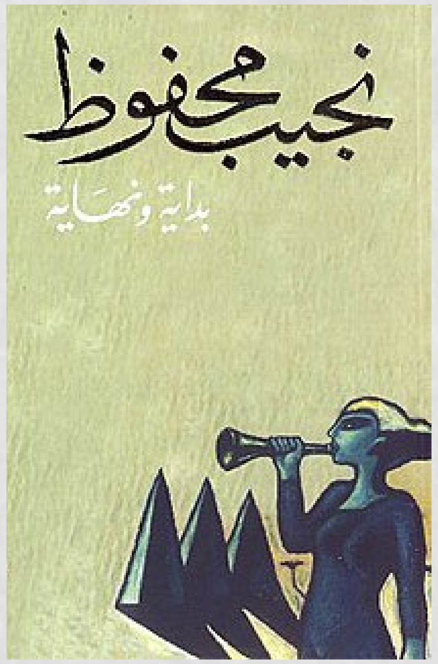

أجزاء الكون، وبعدد رمال الصحراء التي أخفاها الظلام انكتمت همسات أجيال وأجيال من الآلام والآمال والأسئلة الضائعة، وقال شيء إنه لا ألم بلا سبب، وإن اللحظة الفاتنة الخاطفة يمكن أن تمتد في مكان ما إلى الأبد وأطال وأمعن النظر وثمة تغير جذب البصر، رَقَّ الظلام وانبثت فيه شفافية، فانبعثت دفقات من البهجة والضياء والنعسان، وفجأة رقص القلب بفرحة ثملة واجتاح السرور مخاوفه وأحزانه، وشد البصر إلى أفراح الضياء يكاد ينتزع من محاجره، وارتفع رأسه بقوة تبشر بأنه لن ينثني وشملته سعادة غامرة جنونية آسرة ، وطرب رقصت له الكائنات في أربعة أركان المعمورة ،وكل جارحة رنمت ، وكل حاسة سكرت ، واندفنت الشكوك وَالمخاوف والمتاعب، وأظله يقين عجيب ذو ثقل يقطر منه السلام والطمأنينة"[5] . نلحظ هنا من خلال هذه الصورة الوصفية مقدرة محفوظ التعبيرية في السرد الذي يصوره بهذه اللغة الفصيحة وبأسلوب بديع " يشبه البحث بالأشعة في دهاليز الكيان البشري، وتختصر الذاكرة ومعطيات الحواس في لحظة واحدة، يحل فيها منطق النفس محل منطق الواقع فيهيمن جو الكشف الصوفي مزيحاً حسابات المقدمات والنتائج مُلْغِيًا فكرة الزمن والمكان التقليدية، وعابراً بالبطل هذا الطريق، طريق الوعي الداخلي الصامت الساكن ،لا طريق الواقع الناطق المتحرك، إلى مراتب معرفية، لم يكن له بها عهد من قبل"[6]، ويتبع محفوظ أساليب عدة في السرد بهذه اللغة البسيطة الفصيحة، كهذا المنولوج الذاتي الذي يغوص فيه محفوظ في أعماق النفس البشرية، دون تكلف أو ضعف يفقدها جاذبيتها في نفس القارئ، كهذا الموقف السردي، من رواية اللص والكلاب، الذي يمشي فيه "سعيد مهران" وحيداً خارجاً من فيلا "رءوف علوان"، لقد انهار في نفسه نموذج الأستاذ، وتحطم المثال، والنص برمته من حديث النفس الصامت، الذي ساقه محفوظ باقتدار كبير في لغة بسيطة طيعة، حيث

(5) نجيب محفوظ، رواية الشحاذ، الناشر مكتبة مصر، 1965، ص 119

(6) د/ محمود الربيعي ، الحلقة الذهبية في إبداعه، مجلة العربي، الكويت، عدد ديسمبر 2006م، ص 77

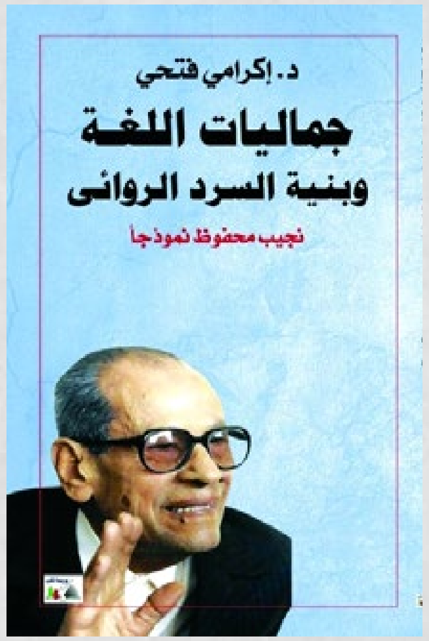

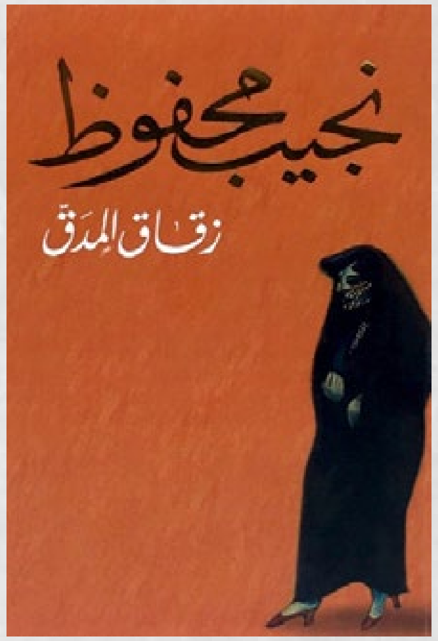

يقول " هذا هو رءوف علوان" الحقيقة العارية، جثة عفنة لا يواريها التراب. أما الآخَرُ فقد مضى كأمس أو كأول أمس، أو كأول يوم في التاريخ، أنت لا تنخدع بالمظاهر فالكلام الطيب مكر والابتسامة شفة تتقلص والجود حركة دفاع من أنامل اليد ولولا الحياء ما أذن لك بتجاوز العتبة" إلى أن يقول " خيانة لئيمة لو اندك عليها المقطم دَكًّا مَا شفيت نفسي. ترى أتقر بخيانتك ولو بينك وبين نفسك أم خدعتها كما تحاول خداع الآخرين؟ ألا يستيقظ ضميرك ولو في الظلام؟، أود أن أنفذ إلى ذاتك كما نفذت إلى بيت التحف والمرايا بيتك، ولكني لن أجد إلا الخيانة. وستعترف لي الخيانة بأنها أسمج رَذِيلَةٍ فوق الأرض!".[(7)]، ولنقرأ أيضاً من " اللص والكلاب"، تلك الجمل المقطرة، بهذه اللغة الشاعرة المكثفة، التي تكاد الكلمات فيها تقف على رؤوسها وتكتسب من فرط تكثيفها إيقاعاً يشبه الفواصل الشعرية" ولعلكما تترقبان في حذر، ولن أقع في الفخ، ولكني سأنقض في الوقت المناسب كالقدر، وسناء إذا خطرت في النفس انجاب عنها الحر والغبار والبغضاء والكدر، وسطع الحنان فيها كالنقاء غب المطر، ماذا تعرف الصغيرة عن أبيها؟ لا شيء، كالطريق والمارة والجو المنصهر"[(8)] ونلحظ هنا أن هذا الأسلوب السردي من محفوظ كله يدخل تحت مسمى حديث النفس الصامت، الذي يتدفق في وعي بطل الرواية دون كلمة واحدة ينطق بها والتعبير عنه في لغة فصيحة بسيطة دون تكلف.

لغة الحوار:

ولغة الحوار، هي المستوى الثاني من لغة القص، وهو اللغة التي يعبر بها الكاتب عما يدور بين شخصياته من حديث أو قول، أي يعبر عما تعانيه أو تفكر فيه كل شخصية من شخصيات التجربة القصصية والشخصيات في إطار القصة، كما هي في واقع الحياة، يتفاوت مستواها الفكري ومزاجها النفسي وواقعها الاجتماعي، وهذا كله ينبغي أن ينعكس في الحوار الذي تتكلم به كل شخصية ، لأن النطق يجب أن يقوم على منطق، وبناءً على هذا يجب أن ينوب الروائي ـ بأمانة وصدق ـ حين يركب لغة الحوار التي تعبر عن شخصيات عالمه القصصي، ومن الأمور التي تحسب لنجيب محفوظ، أنه استطاع أن يطوع الفصحى للغة الحوار، بحيث جمع بين السلامة اللغوية والجمال الأسلوبي في التعبير عن الموقف القصصي، كما في هذا الحوار الفصيح، الذي يدور بين أم وأبنائها في رواية " بداية ونهاية" للكتاب، حيث عبر محفوظ بدقة، عما يفكر فيه كل منهم، من خلال هذا الحوار الذي يكشف طبيعة كل واحد منهم بشكل منفرد، والذي كتبه محفوظ بالفصحى المبسطة، وفي ذهنه العامية المعبرة، عن كينونة الشخصيات الاجتماعية والنفسية والعقلية، بقصد إزالة تلك الحواجز بين القارئ والنص، الذي يجعل الكتاب يفكرون بأسلوب، ويكتبون بأسلوب آخَرَ.

قالت الأم " نفيسة تحسن الخياطة، وهي تخيط كثيراً لجاراتنا محبة ومجاملة، ولست أرى بأساً في أن تتقاضى على عملها مكافأة .

وهتف حسن بحماس: عين الصواب..

ولكن حسنين صاح بغضب، وقد احمر وجهه غضباً: خياطة ؟!

فأجابه حسن معترضاً : ما عيب إلا العيب، فلتكن.

فقال حسنين بحدة: لن تكون أختي خياطة، كلا ، ولن أكون أخاً لخياطة.

وقطبت الأم في غضب وصاحت به: أنت ثور، تأكل وتنام ، ولا تدري عن الدنيا شيئاً، وهيهات أن يفهم عقلك الغبي حقيقة حالنا! فتح فاه ليعترض، ولكنها صاحت به: اخرس فنفخ دون أن ينبس بكلمة، ورأت الأم أنها فرغت من معارضته، فالتفتت إلى حسين، فالتقت عيناهما برهة قصيرة، ثم خفض الفتى عينيه، وتمتم على مضض: إذا لم يكن من هذا بد فالأمر لله..! فقالت الأم بتأثر : ما عيب إلا العيب كما يقول حسن، لست أحب لأحد منكم المهانة، ولكن للضرورة أحكام، ولا حيلة لي.."[(9)]،

فهذا الحوار يقدمه نجيب محفوظ بلغة بسيطة، نكتشف عبرها مقدرة محفوظ في تطويع الفصحى، واستخدم ألفاظًا قد تجري على ألسنة العامة، لكن محفوظ ألبسها ثياب الفصحى باقتدار كبير، كما كشف لنا من خلال هذا الحوار، نوعية شخصية الأم الواعية التي تريد أن تحافظ على الأسرة بعد وفاة الزوج العائل لهم، وشخصية حسن المتواكل الذي يسلم بسهولة، لأنه يريد أن يريح نفسه، على حساب الآخَرِينَ، ثم شخصية حسنين الانتهازي الذي يريد المال ولكن يَسُوءُهُ مظهريًّا أن يقال إن أخته تعمل خياطة، وشخصية حسين المؤمن الذي صدق على كلام الأم بنفس راضية" إذا لم يكن من هذا بدٌّ فالأمر لله"، فقد جاء هذا الحوار معبرًا بكل دقة عن السمات المتفردة لكل شخصية في يسر وسهولة.

كلمة أخيرة:

نخلص من خلال عرضنا بإيجاز للغة الفن الروائي، عند نجيب محفوظ، أنه استخدم أشكالاً متعددة من لغة السرد القصصية، بخصائصها المختلفة من التعرية المباشرة لأعماق الشخصيات وتقاطع للسياقات وإذابة حواجز الزمان والمكان، وكالاقتصاد الشديد في السرد، مع الاعتماد على اللغة المكثفة الغنية بالظلال والإيحاءات، على نحو قريب من لغة الشعر أحياناً، كما قدمنا من نماذج في ذلك، وهذا ليس بالغريب على نجيب محفوظ، الروائي المولع بالعربية، العارف بها والنافذ إلى أسرارها لا القاموسية أو المعجمية فحسب، بل هُوَ الالتفات إِلَى ظِلالِ المعاني ويسر الاستخدام، مع دقة إصابة الهدف وسهولة النطق وجمال الإيقاع. وكان امتلاكه لناصية الفصحى، أحد أهم الأسباب الذي جعل أدبه ينتشر عربياً ويصل إلى العالمية باختياره التعبير بالفصحى ونجاحه في تطويعها في أشكال متعددة من أساليب السرد والحوار نالت استحسان الجميع وَإِعْجَابَهُ.

(7) نجيب محفوظ ، رواية اللص والكلاب، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص37. ش

(8) اللص والكلاب، مصدر سابق، ص 70.

(9) نجيب محفوظ، رواية بداية ونهاية، الناشر مكتبة مصر، ص 25.

سلطان العلم والعلماء

أ.د. لعبيدي بوعبدالله

عهد على الوُدِّ قبلَ اليومِ مَبْرومُ ... يا قَاسِمِيُّ الذي بالعِلْمِ موسومُ
للهِ دَرُّ الذي قد سنَّ مدحَكُمُ ... وكلُّ من شذَّ عن ذا فهْو محرومُ
إنِّي سأمدحُ خُلْقًا قد عُرِفْتَ بِهِ ... إنَّ التَّكلُّفَ في الإطراءِ مذمُومُ
يا أحزَمَ النَّاسِ في حِلمٍ وفي كرمٍ ... يا حاكمًا بَرَّهُ -كالإبنِ- مَحكُومُ
يا رافعًا لِلِواءِ الخيرِ بَاسِطَهُ ... ومن يكن بَاسِطًا للخيرِ معصومُ
يا ناصرَ العُرْبِ مشغولًا بأمَّتِهِ ... مطاعُ أمرٍ إذا ناداهُمُ: قومُوا!
يا أُنسَ من ملَّتِ الأيَّامُ غربتَهُ ... وطارَ حيثُ قضاءُ اللهِ محسُومُ
الفقرُ في عهدِهِ قد عزَّ نائلُهُ ... والجهلُ في ساحِهِ بالفكرِ مهدُومُ
والحقُّ عندَهُ لا يستاءُ طالبُهُ ... هيهاتَ حقٌّ إذا أعطاهُ مقرُومُ!
والأمنُ ألقاهُ درسًا في رعيَّتِهِ ... والعيشُ في فهمِهِ لفظٌ ومفهومُ
يا خادمَ الدِّينِ ممدوحًا بخدمتِهِ ... يا خادمَ الدِّينِ قد أعلاكَ مخدومُ
أنتَ الذي بذلتْ للعلمِ راحتُهُ ... ومن سماحتِهِ يرتاحُ مهمومُ
أنتَ الذي أشرقَتْ إذ جئتَ شارقةٌ ... فَنُورُهَا سَاطِعٌ في الكَوْنِ مَعْلُومُ
يا نَاشرًا لغةَ القرآنِ في عَجَمٍ ... مِنْ غَيْرِ رَسْمٍ وَأَمْرُ الشَّيْخِ مَرْسُومُ
كم طالبٍ راغبٍ في العلمِ كنتَ لهُ ... كراغبٍ في القِرَى يرجُوهُ محرومُ!
قرأتُ عن كلِّ منهومٍ وما قرأتْ ... عينايَ مثلَكَ من بالعلمِ منهومُ
لزمتَ بابَ الهُدَى يا لازمًا لهدًى ... لا غروَ إن لازمٌ أدناهُ ملزومُ!

صنعتَ مجدًا تليدًا خالدًا أبدًا ... كما يخلِّدُ بيتَ الشِّعرِ ترنيمُ
والبيتُ قائلُهُ يبقَى يقوِّمُهُ ... ومجدُكَ الدَّهرَ لا يعرُوهُ تقويمُ
إن عمَّم الشِّعرُ وصفًا للألى سبقُوا ... فإنَّ مدحَكَ لا يكفِيهِ تعميمُ
أو عدَّدَ النَّاسُ بالأرقامِ فعلَهُمُ ... فليس فعلُكَ يكفِي فيهِ ترقيمُ
إنِّي نصبتُ خيامِي في حمَى وطنٍ ... لمَّا يَشِدْ مثلَهُ فُرسٌ ولا رُومُ
هي الإماراتُ عشقٌ للألى قدِمُوا ... أسعِد بهم.. قادمٌ يهواهُ مقدُومُ!
تعاظمَ الخيرُ في أرجائِهَا علنًا ... فجازَ فيها وفي الحكَّامِ تعظيمُ
لَوِ اقْتَفَى اليَوْمَ حُكَّامٌ سِيَاسَتَهُمْ ... لم يبقَ في الأرضِ مسكينٌ ومظلومُ
أو أنفقُوا مثلَهُم ما كان مفتقِرٌ ... أو أطعمُوا مثلَهُم ما عزَّ مطعُومُ
أو أكرمُوا مثلَهُم ما ملَّ مغترِبٌ ... أو سدَّدُوا مثلَهُم ما ذلَّ مغرُومُ
هم سبعةٌ.. رحمةُ الرَّحمنِ تلحقُ مَن ... قد وحَّدُوا الدَّارَ مذ أن كان تقسيمُ
أكرِم بهمْ.. "زايدٌ" بالأمس وحَّدها ... واليوم من دَعَواتِ الخلق مرحومُ
هم سبعةٌ ليس يكفِي في مديحهِمُ ... إن فيهِمُ قيلَ منثورٌ ومنظومُ
هَذِي تحيَّةُ إجلالٍ يُخلِّدُهَا ... شِعري بكُمْ، ولَكُمْ مَدْحٌ وتَسْلِيمُ
صلّى الإلهُ الذي أعلى مقامَكُمُ ... على الذي مدحُهُ في الوحيِ مرسومُ
والآلِ والصّحبِ مَن نرجُو مودَّتَهُمْ ... فحبُّهمْ عندنا للرُّوحِ تطعيمُ
ما ناحَ طيرٌ على الأغصانِ أو خطرتْ ... في الذِّهنِ خاطرةٌ أو حارَ موهُومُ

شيطان الكتابة وألاعيبه

د. هاني حجاج

في دراسة مشهورة للعالم النفساني ليلوت بعنوان "شيطان سقراط" يؤمن أن العبقري والمبدع يسمع أصواتاً تناديه من دون أن يرى أحداً. ولذا يمرّ أحياناً بحالات هذيانيَّة أو هَوَسٍ حَقِيقِيٍّ وَكان يقول بأنه يسمع صوتاً داخليًّا في نفسه، وهو الذي يمنعه من ارتكاب الأفعال السيئة. وأنّ الأعمال الاستثنائية التي ينجزها العباقرة ناتجة عن شخصيات هشّة من الناحية النفسية. وهذه الهشاشة النفسية أو أحياناً الجسدية تتيح لهم أن يشعروا بمشاعر نادرة لا يعرفها بقية البشر. وَحَسْبَ درايدن فإنَّ أصحاب العبقرية والمجانين شديدو القرب من بعضهم. إذا كان معنى هذا أن الذين يتمتعون بخيال نشيط جدا أو مضطرب جدا ولديهم أفكار رفيعة جدا ومتقلبة جدا، يبدون شيئا من التشابه مع المجانين، فإن هذا صحيح. لكن، إذا كان المقصود هو أن الذكاء العظيم يخلق الاستعداد للجنون، فإن هذا خطأ.

يقترح ابن قتيبة ساعة الفجر، كأفضل وقت للكتابة فالذهن أصفى والقريحة أنقى، أما شيطان الشعر فلا يزور كثير عزة إلا عندما يطوف على العشب، والفرزدق وهو على ناقته في شعاب الوديان يتأمل الخرائب، وَجَرِيرٌ عندما يشعل سراجه ويعتزل الجميع. وكان المتنبي ينظم شعره وهو يمشي فيضبط أبياته على إيقاع خطواته. وتوفيق الحكيم كان يكتب على ورق ـ بِالحَجْمِ نَفْسِهِ ـ بالحبر الأسود والأزرق ، والرافعي يقرأ في أحد كتب البيان قبل أن يكتب لينظف وجدانه من بقايا الكلام العامي. وَالعقاد يبتعد عن الضوضاء، وَيضطجع على فراشه ويكتب بحبر أحمر على قصاصات من ورق في مساحة الكف. وَمحفوظ يكتب من العاشرة صباحًا إلى الواحدة ظهرًا بعد أن يتمشى قليلا ويسمع بعض الموسيقى ويشرب فنجان قهوة في كل ساعة كتابة ويدخن بشراهة. وَعبد الرحمن بدوي ومحمود تيمور أيضًا لا يكتبان إلا في البيت، وكذلك محمد حسين هيكل وأسامة أنور عكاشة الذي خصص للكتابة بيتا في الإسكندرية. يقول ناصر عراق: "منذ زمن بعيد أدركت أن الكتابة الناجحة المؤثرة لن تتأتى إلا بالالتزام الصارم، بمعنى الإقبال عليها وممارستها بشكل يومي، إن المثابرة والاستمرارية هي التي تولد الوحي، وهي التي تشحذ سلاح الإلهام، وقد تعلمت هذه الحكمة من والدي المرحوم عبد الفتاح عراق الذي أعتبره مثقفا عصاميا بامتياز. وأصبحت أعانق الكتابة كل صباح منذ سنوات طويلة. أعانقها بشغف ومحبة. أستعجل النوم مبكرًا في الليل، لأصحو صافي الذهن قادرًا على استقبال معشوقتي التاريخية، أَجْلِسُ كل صباح دون مبالغة، ففي تمام السادسة صباحًا أجلس إلى مكتبي سواء في العمل أو في البيت، في حضرة الورقة والقلم فيما مضى، أو أمام شاشة الكمبيوتر حاليا. أَكْتُبُ نحو ساعتين أو ثلاث في صمت تام، لا حركة. لا صوت. ولا موسيقى ناعمة، ولا زقزقة عصفور. ففي حضرة الكتابة لا يعلو صوت فوق صوت الكلمة." البعض يكتب في المقهى وسط الضجيج مثل (إبراهيم أصلان) وجبور دويهي الذي كتب (شريد المنازل)، وقال: "الواقع أني رجل عادات ومقاه.أكتب في الخارج، أبعد ما يكون عن غرفة نومي، يوميا من دون استثناء عندما أنطلق في مشروع روائي، بين العاشرة صباحا والواحدة، في مقهى يكون متوسط الضجيج. أبدأ بقلم الرصاص وأنتهي أمام لوحة مفاتيح حاسوب أبل. وقبيل الفراغ من الكتابة أترك ذخيرة لليوم التالي أبدأ منها من جديد. لكني عمومًا بطيء، فلا يتجاوز عدد كلماتي التي أعدّها دائمًا المئة كلمة."

وعن غرباء الأطوار: فرانسين بروس مؤلفة الملاك الأزرق لا تستطيع الكتابة إلا عندما ترتدي بيجاما زوجها لأنها ترتاح أكثر في الملابس الرجالية كما أن الإلهام لا يأتي إليها إلا عندما تكون في مواجهة الحائط، وَهوجو و د.هـ لورنس يكتبان وهما عاريان تمامًا، وأجاثا كريستي تضع حبكتها وهي نائمة في ماء البانيو، وَترومان كابوتي مؤلف (بدم بارد) لا يستطيع التفكير إلا و هو ممدد بشكل أفقي على سرير أو أريكة كذلك

أجاثا كريستي

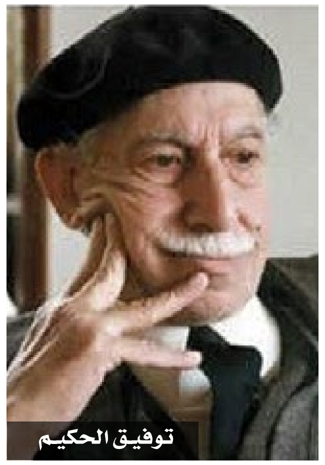
توفيق الحكيم

محمد حسنين هيكل

محمود تيمور

عندما يشرع في الكتابة فإنه لا يكتب إلا بقلم رصاص ولا بد أن يكون بجانبه كوب من القهوة و كوب من الشاي بالنعناع، وَإدجار آلان بو يكتب وهو يضع قطة على كتفه، وَماركيز يلبس سالوبيت الميكانيكي العملي المريح، وَهنري أبسن صاحب (بيت الدمية) يكتب وأمامه صورة الأديب سترندبرج الذي يمقته لدرجة الموت وَقَدْ قَالَ عَنْهُ : (إنما أردت أن أغيظه وهو يتفرج على إبداعي قبل نشره على الناس!)، وَ فلاديمير نابوكوف مؤلف (لوليتا) يكتب رواياته على كروت صغيرة بالقلم الرصاص فقط ، ولا يستطيع الكتابة إلا وهو مستلق على قفاه! وَ جان كوكتو لا يكتب إلا بعد أن يضع على منضدته كوبًا مقلوبًا على عقرب حي! وَ الشاعر الفرنسي بول جير لا يكتب إلا على ورق وردي، وَ يودورا ويلتي كانت تلصق الصفحات ببعضها من النهايات بدبابيس صغيرة لِتُكَوِّنَ صفًّا طَوِيلًا من الورق لِغَايَةٍ في نَفْسِهَا حيث إنَّ قلب الصفحات كان يشتت تركيزها و كانت إذا بدأت في الكتابة أو القراءة تمارس هذه العادة الفريدة، وَ همنجواي يكتب واقفًا ولا يكتب إلا 500 كلمة في اليوم فقط، وكذلك جيمس جويس، وفلوبير يشعل كافة الأضواء، وشارلوت برونتي تكتب بسن إبرة وخطها مثل خط عبد الرحمن بدوي دقيق كحروف الطباعة. وَ خيري شلبي يتحول إلى كابوس حقيقي وكائن لا يطاق، يصيبه اكتئاب حاد يوشك أن يدفعه إلى الانتحار قبل أن يدخل في رواية جديدة ثم يقيم في مقبرة تخص أسرة منقرضة ويكتب (موال البيان والنوم) وثلاثية (الأمالي) و(الشطار)، فعندما يكتب تنتابه حالة كراهية لنفسه والعالم فيمقت حتى زوجته وأولاده، ونزار قباني يفرش أمامه الورق الأصفر والزهري ويقول: "لا أحتاج إلى أكثر من سرير انفرادي، كتلك الأسرة المستعملة في المستشفيات والسجون لأكتب قصيدتي، ولو أنني نمت بالصدفة على سرير من طراز لويس الخامس عشر أو لويس السادس عشر لطار النوم من عيني وطارت القصيدة. إن أجمل قصائدي كتبتها وأنا ألبس بنطلون الجينز الأزرق. وأقضم ساندويتش على أرصفة المدن المزدحمة.وَ" كيتس لا يكتب إلا في الصيف، ومارسيل بروست في غرفة مبطنة بالفلين،.وَدان براون قضى وقت التخطيط لحبكة (شفرة دافنشي) معلقًا رأسا على عقب، وَالسيناريست العظيم أسامة أنور عكاشة كان يكتب أمام مرآة ويتخيل كل تعبير على وجهه ،أما آرونسوركين الكاتب المسرحي فكان يمثل الحوار بالكامل أمام مرآته لدرجة أنه لكم نفسه في مرة وكسر أنفه! وَ قام الفرنسي هونوريه دي بلزاك، بتغذية كتاباته الإبداعية من خلال استهلاك مَا يَقْرُبُ مِنْ 50 فنجان قهوة يوميًّا، كما ذكرت أحد الدراسات بأنّه لم ينم طوال فترة تأليفه لسلسلته الأدبية المعروفة باسم (المهزلة البشرية)، وَإِلى جَانِبِ بلزاك، كان الفيلسوف والمفكر الفرنسي فولتير يحتسي

أيضاً 40 كوباً من القهوة لكي يستطيع كتابة ما يُفكر به. وَتولستوي يعشق الروتين ودستويفسكي يقرأ ما يكتبه بصوت مرتفع ومورافيا يقول: "منذ فترة طويلة جِدًّا وأنا أكتب كل صباح بالطريقة نفسها التي أنام بها وآكل يوميًّا، لقد أصبحت الكتابة جزءًا عضويًّا في إيقاعي البيولوجي."وللناقد الإنجليزي تشارلز لامب رَأْيٌ حاسمٌ في حالات النزوات العقلية للمبدعين، فأقر باستحالة إنتاج المجانين لأعمال عظيمة. وَفي مقال له بعنوان: "عن الصحة العقلية للعبقري الحقيقي"، نجده يكتب: بعيدا جدا عن موقف القائلين بأن الموهبة الجبارة(العبقرية) ملازمة بالضرورة للجنون والهوس والتقاليع الغريبة، فإن أعظم الموهوبين هم على النقيض من ذلك، بل هم أعقل الكتاب دائما. وَمن المستحيل على العقل أن يتصور أن شيكسبير كان مختلا. وَمن لديه عبقرية لا يعرفها، أَوْ مَحْرُومٌ منها لا يستطيع معرفة كنهها!

رسم تخيلي للفرزدق

جون درايدن

يقول ناصر عراق: "منذ زمن بعيد أدركت أن الكتابة الناجحة المؤثرة لن تتأتى إلا بالالتزام الصارم، بمعنى الإقبال عليها وممارستها بشكل يومي، إن المثابرة والاستمرارية هي التي تولد الوحي".

عُقُودُ الغَرَبِ[1] في مُعَارَضَةِ لاميَّةِ العَرَبِ

د. عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ الحَرْبِيُّ
رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

(1) الغَرَبُ: الذهب

أقيموا بني ضادٍ[1] صدورَ كلامِكمْ ... فإنَّ لسانَ القومِ للعُجمِ أمْيلُ
على غَفَلاتٍ منطقُ القومِ تارةً ... يَغِيضُ[2] وأخرى يُجتوى[3] ويُعَطَّلُ
ألا ربَّ يومٍ جئتُ فيه مسلِّمًا ... وراحلتي قَرواءُ وَجْناءُ عَنْدَلُ[4]
وفي صُحبتي رَقٌّ وطِرْسٌ ومِزْبرٌ[5] ... وديوانَ شعرِ الجاهليَّةِ أحْمِلُ
وكنتُ أحبُّ العلمَ واليومَ زادني ... هوايَ به عِشقًا هنا يَتَغَلْغَلُ
ورُبَّ نِقَابٍ[6] جئتُهُ عند كهفِهِ ... فقيهٌ، حديثيٌّ، إمامٌ مبجَّلُ
له حُلَّةٌ شوكاءُ[7] حُلَّت بزِئبَرٍ[8] ... وأُرْصُوصةٌ[9] في الكهفِ وهْو يُزَوقِلُ[10]
هُو الصَّلْهَبُ[11] الأعلى ومِرقاةُ حِصنِهِ ... علومٌ يُروِّيها وفِقْهٌ مُؤَصَّلُ
وفي مكتبي سِفْران سِفْرٌ قرأتُهُ ... وسِفرٌ له في دَفتري بَعدُ جَدْوَلُ
ولستُ بجَعْظٍ[12] قُعْدُدٍ[13] مُتَلوِّنٍ ... أَفِيكٍ[14] لَفِيكٍ[15] وهْو في الخَلْقِ شِمْشِلُ[16]

(1) تسمى اللغة العربية لغة الضاد؛ لتميزها به نطقًا ومخرجًا وصفة.
(2) ينقص.
(3) يستكره.
(4) الناقة القرواء: طويلة السنام، والوجناء: عظيمة الوجنتين، والعندل: عظيمة الرأس.
(5) الرَّق: الصحيفة البيضاء، والطِّرس: الصحيفة التي محيت فكُتبت، والمِزْبَر: القلم.
(6) عالم.
(7) عليها خشونة.
(8) ما يظهر من خيوط الثوب.
(9) قلنسوة مستديرة.
(10) يصلح عمامته.
(11) الرجل الطويل، والبيت الكبير، وهو كناية عن علو مقامه.
(12) سيء الخلق.
(13) لئيم قاعد عن المكارم.
(14) عاجز.
(15) أحمق.
(16) الشِمْشِلُ: الفيل.

وأُوتَى بِرَقٍّ أبيضِ الوجهِ والقفا ... فأُبقيهِ لَمْحَ الطَّرفِ مُحْمًى[17] وأَشْكُلُ[18]
أُمَتِّعُ نفسي أنَّني متغافلٌ ... ويَحْسَبُ خِلِّي أنَّني عنهُ أغفُلُ
وتسعةُ أعشارِ الشمائل غَفْلَةٌ ... يدبِّرُها[19] مَن كان للنَّفس يَعقِلُ
صَريعُ غوالٍ لا غَوانٍ[20]، ولَيلُهُ ... نهارٌ بنورِ العلمِ حينَ يُفصَّلُ
وطيبُ حياةِ المرءِ راحةُ بالِهِ ... وفاقدُها بينَ الأَنَامِ مُكبَّلُ[21]
يلومونني في وصْلِ ليلَى وإنَّني ... أُعَمِّي[22] بليلى فاسمُها -الدَّهرَ- أجْمَلُ
إذا سألتْنِي عَنْ فؤادي أجبتُها: ... يُخَالِط قلبًا منكِ لا يَتَزيَّلُ[23]
بذكراكِ أستشفي إذا كنتُ مُدْنَفًا[24] ... وتَنْشَطُ رجلِي حينَ رجليَ تَمْذَلُ[25]
نَعمْ! شَعْرُها والجيدُ والخَدُّ واللَّمى ... دُجًى ورَشًا والوَرْدُ والعِنَبُ الحُلُو[26]
ويَنفَحُ من جِلبابِها مسكُ عنبرٍ ... وتحتَ النَّصيفِ الليلُ[27]، والليلُ أَلْيَلُ[28]
تمشَّتْ وأترابٌ[29] لها ليلةً على ... جُوَيريةٍ[30] والحِبُّ[31]- لا شكَّ- أَمثَلُ

(17) أسود: والمراد: مملوء بالكتابة.
(18) أضبطه بالشكل.
(19) الغفلة المُدَبَّرة: التغافل.
(20) المراد: تصرعه معالي الأمور، لا النساء الغواني.
(21) مقيَّد.
(22) من التعمية، أي: أكني عن المحبوبة بليلى، واسمها الحقيقي أعلى وأجمل.
(23) لا يفارقه.
(24) مريضًا.
(25) يقال: مَذِلت الرِّجل تمذَل: إذا خدِرَت.
(26) في البيت أربعة تشبيهات، وأربعة مشبَّهات بها.
(27) المراد شعرها الذي تحت خمارها.
(28) أسود جدًّا.
(29) بالرفع على العطف كقول عمر بن أبي ربيعة: قلتُ إذ أقبلتْ وزهرٌ تهادى...
(30) تصغير جارية، وهي السفينة الصغيرة.
(31) المحبوب.

توجَّهْنَ نحو البحرِ في مُسْبَطِرَّةٍ[32] ... إلى موضعٍ شَلَّالُهُ[33] يَتَطَوَّلُ
وإنَّ عفافَ المرءِ نُورُ فؤادِهِ ... وتاجٌ على رأسِ العفيفِ مُكَلَّلُ
ولابسُ ثوبِ الحِلْمِ سَيِّدُ قومِهِ ... وذائقُ كأسِ الصَّبْرِ مُرًّا مُحَجَّلُ
قليلٌ من العلمِ الذي أنتَ عامِلٌ ... بما فيهِ أولَى مِن كثيرٍ وأَفْضَلُ
وطالبُ علمِ الشَّرعِ قبلَ اطِّلابِهِ ... قوانينَ علمِ النحوِ يَرْدَى ويَفْشَلُ
رأيتُ تُحَيْتَ الشَّيبِ حِكْمَةَ حازمٍ ... ورأيًا، وفي شَرْخِ الشبابِ تعجُّلُ[34]
ولم أرَ شؤمًا مثلَ شُؤمِ الشِّقاقِ في ... بيوتٍ إذا طالَ الشِّقاقُ وأهمَلُوا
وكلُّ ذَوِي فَوْضى سَيَدخُلُ بينَهمْ ... جَهولٌ، ومِجْهَالٌ، وجُهْلٌ، وجُهَّلُ
وكم مبتغٍ ودًّا من الكاشحِ[35] البَذِي ... وفي أهلِهِ المكرُ الخبيثُ سَيَنزِلُ
رأيتُ بني غبراءَ[36] مَن يَقْضِ حاجَهمْ ... تَلَذُّ له دُنيَاه، والعيشُ أَجْمَلُ
أرى الناسَ يَبْغُونَ الرَّشَاقةَ، ثُمَّ هُمْ ... لهمْ كلَّ حينٍ مَأدُباتٌ ومَأْكَلُ
ولما تَساوى الطُّول والعَرْضُ[37] سارَعوا ... إلى عَمَليَّاتِ الحَشَا وتَعَجَّلوا
فهذا بتكميمٍ وذاكَ مُبَلْوَنٌ ... وثالثُهُمْ منه المَسارُ يُحَوَّلُ

(32) في راحلة طويلة ممتدة.
(33) الموضع العالي الذي ينحدر منه الماء.
(34) مبتدأ مؤخر.
(35) يضمر العداوة.
(36) الفقراء.
(37) أي: سمنوا حتى استوى عرضهم مع طولهم.

أديموا مطالَ الجُوعِ واقتصدوا إذا   طَعِمْتُمْ وعنْ حُلوِ الطعامِ تَزَيَّلُوا[38]

وكونوا كمثلِ الشَّنْفَرى حينَ وَثْبِهِ   يَذُبْ شَحمُكمْ والبطنُ لا يَتَهَدَّلُ

تواضعْ لربِّ العرشِ يَرفعْكَ واتَّئِدْ   فإنَّ خَدينَ الكِبْرِ في المَقْتِ يَرْفُلُ

ورحلَكَ فالزَمْ في سكونٍ ولا تكنْ   إذا قامَ أشباهُ الخوارجِ تَجْهَلُ

ولا تكُ يَحبُورًا[39] يُطيلُ جُلوسَهُ   وعادتُهُ -واحسرتاهُ- التَّمَلْمُلُ

لهُ مِرْوَدٌ في حِفْشِهِ[40] ومَلابُهُ[41]   يَفُوحُ ولا يرتاحُ مِنْهُ السَّجَنْجَلُ[42]

وقُلْ حَسَنًا قولًا سَديدًا تَنَلْ بِهِ   صلاحًا كما قالَ الكتابُ المُنزَّلُ

ومَنْ حَفِظَ القرآنَ ثمَّ أضاعَهُ   كناقضةٍ ما كانَ في الصُّبحِ تَغْزِلُ

وكلُّ امرئٍ آتٍ إلى اللهِ راغمًا   وحيدًا وعن أعمالِهِ سوفَ يُسْأَلُ

ألا إنَّ ذا عشرٍ صبيٌّ ولا يُرى   بصفحتِهِ البيضاءِ سَوداءُ تُخجِلُ

وصاحبُ عشرينَ الهوى حلَّ قلبَهُ   ويَزدادُ وَجْدًا حينما يَتَغَزَّلُ

ونجلُ ثلاثينَ استوى في شبابِهِ   يذوبُ غرامًا بالَّتي تَتَجَمَّلُ

وقُوَّتُهُ في الأربعينَ تَمامُها   ومَنْ بلَغَ الخمسينَ شيخٌ مُبَجَّلُ

ومَنْ جاوزَ السِّتِّينَ وافتْهُ رَثْيَةٌ[43]   وتَلْقاهُ دَومًا في المَشْيِ يُحَلِّلُ

ومَنْ بَلَغَ السَّبعينَ نَاءَ بمتنهِ   ويَشْكُو مِنَ النِّسيانِ دومًا ويَذْهَلُ

ومَغربُ عُمْرِ المرءِ يومَ بلوغِهِ   ثمانينَ عامًا والعظامُ تَصَلْصَلُ

ومَنْ عاش للتِّسعينَ ملَّ حياتَهُ   وصَاحَبَهُ ضَعْفٌ وعَشْيٌ[44] وأَفْكَلُ[45]

وقَبرُ الذي وافى الهُنَيدَةَ[46] قائمٌ   وصَاحِبُهُ عمَّا قريبٍ سيَدْخُلُ

وتَخْتَلِفُ الأجسامُ في قوَّةٍ وفي   مَتانَةِ هُرمونٍ ونفْسٍ تُؤَمِّلُ

وفي عصرنا هذا تقدَّمَ طبُّنا   وطالتْ بِهِ الأعمارُ، والوعيُ أَفْضَلُ

وفي عام (لَأْيٍ)[47] بعد (تاءٍ)[48] وأَلْفِهِمْ[49]   دَهَى الناسَ كُوفيدٌ، فخافوا وزُلزِلُوا

وألزمَ جُلَّ الناسِ دورَهُمُ فَلا   عِناقَ ولا تقبيلَ بل لا تَنَقُّلُ

وأقبلَ بعضٌ نحوَ بعضٍ وَهُمْ عَلى   منصَّاتهمْ في الشَّابكاتِ وهَرْوَلُوا

كأنَّ بيوتَ العنكبوتِ إذا استوتْ   خيوطُ رُعودٍ أو طرائقُ تَشكُلُ[50]

كأنهم في (الزُّوم)[51] جِنٌّ تهافتوا   وأصواتُهُم تعلُو وحينًا تَسَفَّلُ

ذكاءُ اصطناعٍ صيَّرَ الآلةَ التي   تُدارُ كذِي عقلٍ يَقُولُ ويَفْعَلُ

---

(38) ابتعدوا.
(39) اليحبور: الرجل النائم.
(40) وعاء الطيب.
(41) عطره الفائح.
(42) المرآة.

(43) عِلَّة.
(44) ضعف البصر.
(45) رعدة.
(46) مئة عام.
(47) (41) بحساب الجُمل.
(48) (400).
(49) (1000).
(50) تلتبس.
(51) منصة ZOOM.

تَـرى الـطـائـراتِ الـبـيـضَ فـوق مطارِها   ضُـمُـوزًا[52]، وأخـرى كـالـنُّـسـورِ تَـنَـزَّلُ
وكـان لـنـا في مَـجْـمَـعِ الـضَّـاد مَـهْـيَـعٌ   لـطُـلَّابِ عـلـمٍ، والمـيـاديـنُ حُـفَّـلُ
شَـذَا الـعَـرفِ في صرفٍ وإحـدى قـراعِـبٍ[53]   ولامـيَّـةُ الأفـعـالِ تُـتْـلَـى وتُـعْـقَـلُ
وهل يعرفُ الحِبْـرَ[54] النِّطَاسِيَّ[55] جاهلٌ   وهـلْ يُـدرِكُ الـرَّأيَ الـفـطـيـرَ[56] المُغَفَّلُ
فكُن في اصطيادِ العلم نَسـرًا إذا هَوى   ولـيـس لـه عـن قـصـدِهِ مُـتَـحَـوَّلُ
وأربـعـةٌ لـوْ يُـصْـفَـعـونَ عـلـى الـقَـفَـا   لـكـان لـذاك الـصَّـفْـعِ وَجْـهٌ ومَـحْـمِـلُ:
مُـضَـيِّـعُ وقـتٍ، والـذي عُـذرُهُ الـكَـرَى[57]   إذا غـابَ، والـبـطَّـالُ، والمُـتَـعَـجِّـلُ
وأربـعـةٌ مَـرضَـى، حَـسُـودٌ، وحـاقـدٌ   وجـاحـدُ مـعـروفٍ، ومَـنْ يَـتَـمَـلْـمَـلُ
وأربـعـةٌ لا يُـعْـذَلُـونَ[58] إذا بـدا   بِـهِـمْ ضَـجَـرٌ، فـالـطَّـاعِـنُ الـسِّـنِّ أَوَّلُ
وذو سَـفَـرٍ حـتـى يـؤوبَ، ومُـدْنَـفٌ[59]   ومَـنْ كَـانَ ذَا جُـوعٍ ولا يَـتَـحَـمَّـلُ
وأربـعـةٌ أحـوالُ حـفـظٍ ونَـسْـيِـهِ   سـريـعٌ بـطـيءُ الـنَّـسْـيِ، وهْـو المُـفَـضَّـلُ
وثـانٍ بـطـيءٌ فـيـهـمـا، وبـضـدِّهِ   لـثـالـثِـهِـمْ، والـرابـعُ المُـتَـغَـرْبِـلُ[60]

(52) كالحجارة الصلاب، المفرد: ضَمَزَة.
(53) جمع قرعبلانة (كتابي في الصرف).
(54) بكسر الحاء: العالم، والكسر أفصح، والفتح أشهر.
(55) الطبيب العالم.
(56) الذي لم ينضَج.
(57) الذي يعتذر بالنوم إذا غاب.
(58) لا يلامون.
(59) معتلٌ.
(60) من الغربال، كناية عن أنه لا يثبت في ذهنه شيء.

ومَـحـفِـلِ عـلـمٍ دونَ (عَـمْـقٍ)[61] دنـا لـهُ   أضـامـيـمُ[62] مـن طَـلَّابـةِ الـعـلـمِ نُـزَّلُ
تَـوَافَـوا إلـيـه مُـطْـفِـلـيـن[63] وغـادرُوا   فـريـقـيـن مَـسـؤولًا وآخَـرَ يَـسْـأَلُ
لـهـم ضُـوَّةٌ[64] في سـيـرِهـم، وجـبـاهُـهـمْ   عليها من الـتَّـرحـالِ جَـهْـدٌ وقَـسْـطَـلُ[65]
لـهـم مَـركـبٌ مـن صُـنـعِ يـابـانَ، لـونُـهُ   إذا شِـمْـتَـهُ[66] قُـلْـتَ: البعيرُ المُـدَجَّـلُ[67]
ومـرُّوا بـشـيـخٍ في المُـلَـيْـسـا[68] بـمجمعٍ   وأسْـفَـرَ وَجْـهُ الـشـيـخِ سـاعـةَ أقْـبَـلُـوا
يُـنَـضْـنِـضُ[69] في تـسـبـيـحِـهِ وكـتـابُـهُ   بـيُـمـنـاهُ لا يَـمْـضِـي ولا يَـتَـحَـوَّلُ
ويُـقْـبِـلُ إقـبـالَ الأَتِـيِّ[70] إذا عَـلا   عـلـى مـنـبـرِ الـتـعـلـيـمِ أو كـان يُـسْـأَلُ
وقـالـوا: نَـدَوْنـا[71] كَـيْ نُـذَاكِـرَكـمْ هنا   قـصـيـدةَ شِـعـرِ الـشَّـنـفـرى ثُـمَّ نَـرْحَـلُ
أقـيـمـوا بـنـي أمِّـي صـدورَ مَـطِـيِّـكـمْ   فـإنِّـي إلـى قَـومٍ سِـوَاكُـمْ لَأَمْـيَـلُ[72]

(61) موضع قرب الشميسي على يمين القادم إلى مكة.
(62) جماعات.
(63) في وقت الطَّفَل، وهو الظلام.
(64) جلَبة.
(65) غبار.
(66) رأيته.
(67) المطلي بالقطران.
(68) منتصف النهار.
(69) يحرِّك لسانه.
(70) المطر.
(71) حضرنا منتداكم.
(72) وهذا من ردِّ العجز على الصدر، وهي سنة أسنُّها لمن أراد معارضة قصيدة أن يختم بها قصيدته، ويهيئ لبيت القصيدة المعارَضةِ ما يناسب إيراده والختم به.

مِحْنَةُ القَلَقِ في شِعْرِ بَاسِم عبَّاس

«دِيوانُ تَجاعِيدِ المَسَافَةِ أُنْمُوذَجًا»

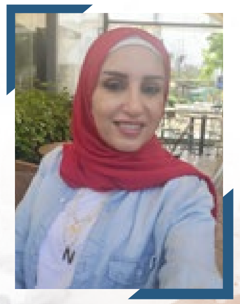

د. نُورا مرعي

يَمْتَلِكُ الإنْسَانُ عَقْلًا معرفيًّا، قَادِرًا على إِدْرَاكِ الزَّمَانِ بِأَبْعَادِهِ كُلِّهَا، والمُتَغَيِّرَاتِ الّتي نَمُرُّ بِهَا، إذْ يُشَكِّلُ نُقْطَةً أَسَاسِيَّةً في حَيَاتِهِ، فَبِهِ يَتَعَرَّفُ إلى نَفْسِهِ ويُسَيْطِرُ على ذَاتِهِ، ويُخْضِعُ الأشْيَاءَ لَه؛ لأَنَّ حُدُودَهُ الكونُ والعالَمُ، وَبِإِمْكَانِهِ أنْ يُسَيْطِرَ عَقْلًا وفِكْرًا على أيِّ رَغْبَةٍ يُريدُهَا، وأنْ يُخْضِعَ الجمادَ له. «فالإنْسَانُ يُوجدُ أوَّلًا، ثمّ يَتَعَرَّفُ إلى نَفْسِهِ، ويَحْتَكُّ بِالعَالَمِ الخَارِجِيّ، فَتَكُونُ لَه صفَاتُهُ، ويَخْتَارُ لنَفْسِهِ أشْيَاءَ هِي الّتي تُحَدِّدُهُ، فإذَا لم يَكُنْ لِلإنْسَانِ في بِدَايَةِ حَيَاتِهِ صِفَاتٌ مُحَدَّدَةٌ، فَذَلِكَ لأَنَّهُ قَدْ بَدَأَ مِنَ الصِّفْرِ. بَدَأَ وَلم يَكُنْ شَيْئًا. وَهُو لنْ يكُونَ شيئًا إلّا بَعْدَ ذَلِكَ. وَلَنْ يَكُونَ سِوى مَا قَدَّرَهُ لِنَفْسِهِ».[1] وَبِالَعْقِل يَمْتَازُ الإنْسَانُ عَنْ سَائِر الكَائِنَاتِ، وفيهِ تَكْمُنُ السَّعَادَةُ، وَلَكِنْ في المُقَابِلِ تَتَسَلَّلُ إليهِ المَأْسَاةُ الوُجُودِيَّةُ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ إِنْسَانٌ يُفكِّرُ، وَالتَّفْكِيرُ شَقَاءٌ. وَهُو بِهَذَا الأَمْرِ يَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ أَيْضًا، كَمَا يَخْتَلِفُ عَنِ الإنْسَانِ الجَاهِلِ، إذْ يُعَدُّ مِنْ أَكْثَرِ الكَائِنَاتِ شَقَاءً وَأَلَـمًا وعَذَابًا ووَحْدَةً. يقولُ المُتَنَبّي[2] في قصيدةٍ بعُنوان «لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ»:

ذُو العَقْلِ يَشْقَى في النَّعيمِ بِعَقْلِهِ

وَأَخُو الجَهَالَةِ في الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ[3]

يُبَيِّنُ المُتَنَبِّي هُنَا مَدَى شَقَاءِ الإنْسَانِ الّذي يَمْتَلِكُ عَقْلًا يُفَكِّرُ، كمَا نَرَى أنّ هِيغَل(4) قدْ رَبَطَ مَفْهُومَ الوَعْيِ الشَّقِيِّ بِإِحْسَاسِ الفَرْدِ بِالاغْتِرَابِ عَنْ نَفْسِهِ وَمُحِيطِهِ، وهَذَا الاغْتِرَابُ يَتَعَلَّقُ بِالعَقْلِ الجَدَلِيِّ للمُثَقَّفِ، وَمَقْدِرَتِهِ عَلَى اسْتِبْصَارِ الرُّؤَى المُسْتَقْبَلِيَّةِ، إِذْ يَسْتَجِيبُ الإنْسَانُ في حَيَاتِهِ إلى مَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ أَفْكَارٍ مُزْعِجَةٍ وَأَحْدَاثٍ صَادِمَةٍ في مَسِيرَتِهِ البَشَرِيَّةِ؛ فَيُفَكِّرُ بِهَا، وَيُحَلِّلُهَا، وَيُعْطِيهَا دَلَالَاتٍ عَدِيدَةً، وَيُخَزِّنُ مَعَانِيَهَا في ذَاكِرَتِهِ.

لِذَلِكَ، يُمْكِنُ القَوْلُ إنَّ الإنْسَانَ أَكْثَرُ الكَائِنَاتِ شَقَاءً بِسَبَبِ وَعْيِهِ، والشَّقَاءُ يَرْتَبِطُ بِالإِبْدَاعِ، والإِبْدَاعُ لَه عَلَاقَةٌ بالمَعْنَى الوُجُودِيِّ للإنْسَانِ، وَبالفِكْرِ الخَلَّاقِ القَادِرِ على ابْتِكَارِ مَا يَشَاءُ، فَالأَفْكَارُ تَنْشَأُ مِنَ الأَلَمِ الّذي يُسَبِّبُ الإِبْدَاعَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ المُبْدِعُ شَاعِرًا يَمْتَلِكُ أَدَوَاتٍ فَنِّيَّةً قَادِرَةً عَلَى خَلْقِ صُوَرٍ مُبْتَكَرَةٍ، لا مَثِيلَ لَهَا، تَنْقُلُنَا مِنْ عَالَمِ الوَاقِعِ إلى عَالَمِ الدَّلالَاتِ الرَّمْزِيَّةِ بِأَبْعَادِهَا الاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ والتَّارِيخِيَّةِ والدِّينِيَّةِ والأُسْطُورِيَّةِ. إذًا، أَكْثَرُ مَا يُزعِجُ الإنْسَانَ هو أنْ يَتَحَوَّلَ وَعْيُهُ إلى مَصْدَرِ تَعَاسَتِهِ، فَالإنْسَانُ المُفكِّرُ مُصَابٌ بِالقَلَقِ وَالتَّوَتُّرِ، وَهُو مُتَسَائِلٌ، يَبْحَثُ عَنْ إِجَابَاتٍ تُرْضِيهِ لأَنَّهُ مُتَعَطِّشٌ إِلَى المَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ، وَهُو مُتْعَبٌ بِكُلِّ مَا يُحِيطُ بِه، مُتَأَزِّمٌ فِكْرِيًّا بِسَبَبِ الوَاقِعِ الرَّدِيءِ. وَيُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ الوَعْيَ العَمِيقَ بِحَقِيقَةِ الأُمُورِ، وَإِدْرَاكَ مَا يُحِيطُ بِالإنْسَانِ يُسَبِّبَان عَذَابًا وألمًا؛ لأَنَّ الوَعْيَ لَدَى الفَرْدِ يُعْطِيهِ نَظْرَةً شَامِلَةً، وهَذِهِ هِي حَالَةُ الـمُثَقَّفِ / الشَّاعِرِ الّذي يُعَدُّ أَكْثَرَ المُفَكِّرِينَ بِالوَاقِعِ

---

(1) سارتر، جان بول: الوجودية مذهب إنساني، مع مناقشة بين سارتر والكاتب الماركسي م.نوفيل، تر. عبد المنعم الحفني، نشر وتوزيع مكتبة راديو، ط. 1، 1964، ص: 14

(2) المُتَنَبِّي: (915_965)، أبو الطّيب أحمد بن الحسين، شاعر، ولد في الكوفة ودرس بها، وهرب صغيرًا من فظائع القرامطة إلى بادية السّماوة، بين العراق والشّام، فأتقن العربية، وعند عودته احترف الشّعر، فمدح رجال الكوفة وبغداد، وتنقّل بين مدن الشّام يمدح شيوخ البدو والأمراء والأدباء. اتصل بسيف الدّولة الحمداني، وصار شاعره وصديقه، وعاشا معًا تسع سنوات يغدق سيف الدّولة عليه المال، ويفيض المُتَنَبِّي برائع القول في مدحه. راجع الموسوعة العربية الميسّرة، المكتبة العصرية، ط.3، مج.6، 2009، ص:3016

(3) ديوان، أبي الطّيب المُتَنَبِّي: دار الفكر اللّبناني، ط.1، 2008، ص:469

(4) هيغل، جورج فيلهلم فريدرك: (1770_ 1831)، فيلسوف ألماني. بسط مذهبه في مؤلفاتٍ أَهَمُّهَا «علم المنطق»، و«موسوعة العلوم الفلسفية»، وكتب في الأخلاق والجمال والتّاريخ والدّين. فسلفته مثاليّة مطلقة، فَحْوَاهَا أنّ للكون روحًا تَتَبَدَّى في مراحل تطورية يعينها المنطق الجدليُّ، ومحصله أنّ فكرة ما تولد نقيضها، ومن تفاعل النّقيضين تنتج فكرة جديدة تؤلف بينهما، ثمّ تأخذ الفكرة الجديدة المراحل الثّلاث المذكورة نَفْسَهَا وهكذا. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم، ومن تآلفهما تنتج الصّيرورة. راجع الموسوعة العربية الميسّرة، مج.7، ص:3548

المَعيش، فهُو الّذي يَمْتَلِكُ مِفْتَاحَ المَعْرِفَة، وَيُعَبِّرُ عَنْ وُجُودِيَّتِهِ وَقَلَقِهِ وَتَعَاسَتِهِ بِشَكْلٍ إِبْدَاعِيٍّ/ فَنِّيٍّ، يَنْعَكِسُ كِتَابَةً وَشِعْرًا. وَلَعَلَّ أَبْرَزَ إِشْكَالِيَّةٍ تُثَارُ فِي عَقْلِنَا هِيَ: كَيْفَ يَنْعَكِسُ الحُزْنُ وَالقَلَقُ فِي التَّجْرِبَةِ الإِبْدَاعِيَّةِ لَدَى بَاسِم عبَّاس؟ وَهَلْ رَافَقَ القَلَقُ الوُجُودِيُّ حَيَاةَ الشَّاعِرِ لِيَنْعَكِسَ إِبْدَاعًا لُغَوِيًّا وفنّيًّا؟

تُمَثِّلُ هَذِهِ الأَسْئِلَةُ جَوْهَرَ بَحْثِنَا لِكَوْنِهَا تَحْتَاجُ إِلَى مُتَابَعَةِ مَظَاهِرِ القَلَقِ الوُجُودِيِّ، وَرَصْدِهَا رَصْدًا تَحْلِيلِيًّا، بِفَرَضِيَّاتِهَا القَائِمَةِ عَلَى أَنَّ التَّشَاؤُمَ وَالسَّوْدَاوِيَّةَ مُسَيْطِرَانِ سَيْطَرَةً كَامِلَةً عَلَى شِعْرِ بَاسِم عبَّاس، يقولُ:

لَوْ جاءَ إليّ القَبْرُ يُقدِّمُ وجْهَ المَوْت
لاسْتَرْخَى فوقَ وِسادَتي المُرَّةْ؟..»[5]

يُبْرِزُ الشّاعِرُ واقِعَه المَعيشَ الّذي يَحملُ دَلالةَ الموتِ، فهُو في الحياةِ مَيتٌ، لِذلك يتسَاءَلُ إنْ جاءَهُ القَبْرُ لِيقدّمَ وجهَ الموت؛ سيراه مُسْتلقيًا فوق وِسادةِ الشّاعرِ الّتي حملتْ مرارةَ أيّامِه وَوَجَعَهُ ومَوْتَهُ الوَاقِعِيَّ، لقدْ حمَّلَ الشّاعِرُ لُغَتَه كَشفًا للوجود، وسَعى إلى عَرْضِه مِن خلالِ رُؤاه الذّاتيَّةِ العميقة، وما ذلك سوى انعكاسٍ لمدى قَلَقِه الفِكريِّ والذّاتيِّ والوُجُوديِّ.

يُعدُّ الحُزنُ والغُربةُ والحَنينُ والشّكُّ والحَيرةُ مَظاهرَ مُتَوافِرةً في نِتاجِ بَاسِمِ عبَّاس الشِّعْري، مُرافِقَةً لِحَياتِه، ويُمكنُ تَلَمُّسُها لُغَويًّا وفنّيًّا في ديوان «تَجاعِيد المسافة»، إذ يقولُ:

«ها دَمِي يَسْمَعُ فِي المرآة
عندَ الفَجرِ آلامَ الجِدارِ...
وجِدارُ الدّمِ يَرْوِي
قِصّةَ المرآةِ في فَجْرِ البَرارِي».[6]

صُدِمَ بَاسِم عبَّاس في حَياتِه بِمَظاهِرَ عديدةٍ لا تَتَناسبُ مع تَحَرُّرِهِ الكُلِّي، كالموتِ الّذي يُشكِّلُ صدمةً، إذْ يَمتلكُ الإنسانُ حُريّتَه وخيارَاته الفكريةَ والوُجودية، وهي تدفعُهُ إلى تَغْيير نَمَطِ حياته بحُريّةٍ ومَسؤولية، وما بين حَتميةِ الموت وعَبَثيةِ الحياة يعيشُ الإنسانُ صِراعًا داخليًّا مع ذاتِه، وقلقًا يَنْعكس شِعرًا؛ لأنَّ الشِّعْرَ هُو الوسيلةُ التَّعبيريَّةُ القادرةُ على إخراجِ مَكنُونات الذّات عَبْرَ إبداعاتٍ كتابية، تُبيّنُ أَزْماتِ الذّاتِ المُتَعدِّدة، والذّاتُ مُرتبِطةٌ بالقَلَق، وهَذا القلقُ مَصدرُه البحثُ عن صورةِ الأنا الحقيقية، فهُو»كإنسانٍ لن يُحقِّق وجودَه الإنسانيَّ باتجاهاتِه نَحو ذاتِه، ولكنّه سيُحقِّقُ هذا الوجودَ بتجاوُزِه لِذاتِه، وسَعْيِه خلْفَ غاياتٍ خارجَ ذاتِه. بهذه الطّريقةِ وحدَها يُحرِّرُ ذاتَه ويُحقّق وجودَه كإنسان».[7] هذا الصّراعُ كان موجودًا وما زالَ، مُذْ أنْ أدركَ الإنسانُ ذاتَه، ووَعَى مَصيرَه، فعَانَى العُزلةَ وَ الاِضْطِرَابَ النَّفسيَّ والوَهمَ، فداهمَتْه أفكارٌ غريبةٌ انعكستْ عُزلةً، وإبداعًا كتابيًّا لدى الشُّعراء، ولا سيما بَاسِم عبّاس الّذي أشار في غيرِ موضعٍ إلى قَلقِه الوُجودي، وخَوفِه مِنَ العدم. يقول في قصيدة «تابوتُ النِّهاياتِ الحزينة»:

«الدُّخانُ العابسُ، الكِبريتُ،
غاباتُ الرّمادِ...
واختناقُ النّورِ في أحشاءِ جُوعِ النّفقِ...
وهَديرُ الخوفِ، مَوتُ الصَّمتِ،
عَصْرُ الرّيحِ في رُوحِ البَرارِي...
وبُكاءُ الشّمسِ عَطشَى
في فِراشِ الأُفُقِ...»[8]

(5) عبّاس، باسم: ديوان تجاعيد المسافة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط.1، 1985، ص:82.
(6) الديوان عينه، ص:79.

(7) المرجع عينه، ص: 67
(8) عبّاس، باسم: تجاعيد المسافة،

يُعدُّ الأدبُ انْعِكاسًا لتجاربِ الشّاعِرِ الذّاتيَّة، وعَرْضًا لمسائله الفكريةِ العديدة، فضْلًا عن رحلاتِه التَّخييليةِ المنطَلِقَةِ مِنَ الواقع، والّتي تَسمحُ له بالسَّفر عبْرَ الزّمان والمكان، مُعبِّرًا بِشكلٍ رَمْزيٍّ ودَلاليٍّ عن صورٍ مُنفردةٍ (الدُّخان العابس، اختناقُ النّور، بكاءُ الشّمس..) مُطْلِقًا الخيالَ لِفِكرِه الذّاتيِّ، فتصيرُ المعاني نِتاجًا أدبيًّا نَلتمِسُ منها القلقَ لِنجتاز الأزماتِ العديدةَ والانهياراتِ الذّاتيةَ الّتي يُعانيها. يقول في قصيدةِ «أَجْنِحَةٌ تُفتّشُ عن فضَاء»:

«حُزْنٌ يُعرِّشُ فوقَ صدرِ حديقتي،
وَخُيوطُ وجهٍ من غُبارٍ...
واللّيلُ نافذةٌ لِعَيْنَي عاشقٍ
أَدْماهُما صَوتٌ تَسلَّقَ نحوَ آخرِ دمعةٍ».[9]

يَبدأُ قصيدَتَهُ بجملةٍ اسميةٍ لوصف حالتِه فهُو يُعاني الحُزْنَ، وهذه المُعاناةُ تَظهرُ ليلًا حين يَأوي الإنسانُ إلى نفسِه، فتَنْحدرُ آخرُ دمعةٍ دليلَ وَجَعِهِ ومُعاناته مع نفسه فهُو وحيدٌ، والبكاءُ سِمةُ العاشقين، لذا حملتِ اللُّغةُ مَظاهِرَ الشُّؤمِ والسّوداوية، وهذا ما بيَّنه هذا المقطعُ بجُمَلِه الاسميةِ الّتي وَصَفتْ حالةَ الشّاعرِ الخاصّةَ، إضافةً إلى الصُّورِ البيانيةِ الّتي حملتْ زَخمًا بلاغيًّا انْعكسَ وَجَعًا، فلا بُدَّ مِن مَعرفةِ الدّوافعِ الذّاتيةِ والخارجيةِ للقلق الّذي يُعانيه بَاسِمُ عبّاس، إضافةً إلى البحث عن عَبَثيةِ الحياة، وهذا ما يُبْرِزُ بصُورِ الكآبةِ والحُزْنِ، يقول في قصيدة «سُؤالُ الغَيْمِ وأجوبةُ الثُّعبان»:

«يَترنَّحُ زَوْرَقُ آلامِي
فَوقَ المَوْجِ العَاتِي
والمَوْجُ يَقُصُّ على مَسْمَعِ شُطْآنِ حَنينِي
كَمْ غَدرَتْ بي جُزُرُ الحِيتانِ المَرْصُوفة
مِثلَ جِدارٍ فيه تَنْبُتُ مَأسَاتِي..»[10]

عبَّرَ بَاسِمُ عبّاس عن حُزنِه وألمِه الذّاتي، وعن عَذاباتِ وُجوده، وعنِ المأساةِ الّتي يَعيشُها من خلالِ الصُّورِ الواضحةِ في هذا المقْطع التي كشفتْ إحساسَه، فهُو أسيرُ آلامِه والغَدْرِ الّذي أصابَه وجعلَه يَستَسلمُ لمأساتِه، فالقَدَرُ يُطارِدُه بشكلٍ دائمٍ بالشُّؤم، وها هُو زَورقُ آلامه يَترنَّحُ فوقَ المَوج العاتِي لِيُشير إلى عدم صفاءِ حياتِه وواقِعِه، فهُو باعتمادِه الفعلَ «يترنَّحُ» أشار إلى عدمِ سَيْرِه فوقَ الدَّرْبِ المستقيم، وإلى عدمِ سلامةِ واقعِه الّذي عايشَ فيه غَدْرَ الزّمان، ما أصابه بمأساةٍ واضحةِ المعالمِ في لُغَتِه الشِّعرية. فتراه يُسائلُ نفسَه في قصيدة «مَمْلَكَةُ الدَّمِ» عن مدى ما يُلاقيه في هذا الوُجود من عذابٍ، وشقاءٍ، وَيُؤَكِّدُ أنْ لا أحدَ قد لاقى ما لاقاه في هذه الحياةِ من تعاسةٍ وحُزْنٍ، يقولُ:

«كَمْ أشعلتَ من رُوحي قَنادِيلي؟..!
وكَمْ كَرجَتْ على خَدِّي
دُموعُ النّارِ لاهثةً فخانَتْني مَناديلي؟..!»[11]

لم يبكِ الشّاعرُ بُكاءً عاديًا، بل كانت دُموعُه من نارٍ تَعكسُ الوَجَعَ الأكثرَ إيلامًا، حتّى مناديلُ الشاعر خانَتْهُ؛ فلم تُوقِفْ تلك الدُّموعَ الّتي كَرجَتْ [فَسَدَتْ]، وقد عَمَدَ في هذا المقطع إلى تَكثيفِ الجُمَلِ الإنشائيةِ باعتمادِ (كم) الشُّعوريةِ لِيُبْرِزَ مشاعرَه اليائسةَ ووَجَعَه الدّائمَ، إلى أن يقولَ في قصيدة «سُؤالُ الغَيْمِ وأَجوبةُ الثُّعبان»:

ص:60.
(9) الدّيوان عينه، ص:12.

(10) عبّاس، باسم: ديوان تجاعيد المسافة، ص:75
(11) عبّاس، باسم: تجاعيد المسافة، ص: 15

«يا نهرُ عرِّجْ نحو قَلْبي
إنَّ في قَلْبي حَريقْ!..» (12)

الحَريقُ في قَلْبِ الشَّاعِر دلالةُ وَجَعٍ لا يُوصَفُ، وَجَع يَحرِقُ صاحبَه، وفي هذا المَقْطع يُنادي النَّهْرَ، وهُو نَكرةٌ مَقصودةٌ بالنّداء ويأمُرُه بأنْ يَدخلَ قلبَه، علَّه يُطفئُ هذا الحَريقَ المُؤلِمَ.

إذًا، يُمكنُ القولُ إنّ الشَّاعرَ وليدُ حَياتِه ومُعاناتِه وقَلَقِه، وإنّ شِعْرَه انعكاسٌ لكلِّ تَجاربِه الذّاتيَّةِ، وتَقلُّباتِه المِزاجيَّةِ، ومُعاناتِه الفِكريَّة، وما شِعْرُ بَاسِم عبّاس سوى انعكاسٍ فِكريٍّ، لُغويٍّ وإبداعيٍّ لمسيرةِ حياةٍ مُثقلةٍ بتجاربَ وَمآسٍ كان لها الوقعُ الأكبرُ في إبداعاتِه الشِّعريَّةِ.

(12) الديوان عينه، ص:74

الفيلسوف هيجل

"وبالعَقلِ يَمْتازُ الإنْسانُ عَنْ سَائِرِ الكائنَاتِ، وفيهِ تَكْمُنُ السَّعادَةُ، ولَكِنْ في المُقابِل تَتَسَلَّلُ إليهِ المَأْسَاةُ الوُجوديَّةُ، وَذلكَ لأنَّهُ إنْسَانٌ يُفَكِّرُ، والتَّفْكيرُ شَقَاءٌ."

"يُمكنُ القولُ إنّ الشَّاعرَ وليدُ حَياتِه ومُعاناتِه وقَلَقِه، وإنّ شِعْرَه انعكاسٌ لكلِّ تَجارِبِه الذّاتيَّةِ، وتَقلُّباتِه المِزاجيَّةِ، ومُعاناتِه الفِكريَّةِ"

مكتبة الأسكوريال

حافظة كتب التراث العربي

إبراهيم شعبان مصطفى

تنفرد مكتبة الأسكوريال دون غيرها من المكتبات المنتشرة في أسبانيا، باحتوائها مَجْمُوعَةً ضخمة من أنفس كتب التراث العربي التي تبحث في شتى علوم المعرفة . والحقيقة أن لهذه المكتبة الشهيرة قصة مثيرة مع المخطوطات الإسلامية القابعة في خزائنها، ففي القرن السابع عشر للميلاد[1]، طلب حكام مراكش من الحكام الأسبان إعادة جميع المخطوطات العربية التي كانت محفوظة في الأسكوريال وبخاصة الكتب العربية التي استولى عليها البحارة الإسبان عندما أسروا سفينة كانت تحمل مكتبة مولاي زيدان ولكن الإسبان رفضوا في بادئ الأمر رد المصاحف وكتب الفقه والتشريع والحديث، بحجة أنها تساعد على التعريف بالدين الإسلامي والدعوة إليه، ووافقوا على إعادة الكتب التي تتعلق بالهندسة والطب واللغة فقط، إلا أن مجلس الدولة الإسباني تراجع عن هذا القرار، وأمر بإحراق جميع المخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في الأسكوريال فوراً.

(1) الموسوعة الطبية الفرنسية larousse الجزء الرابع

وفي اللحظات الأخيرة قام الملك باستشارة(بيلادا) في هذا الأمر فأوصاه بعدم حرقها، وألا يردها إلى مراكش، بل يحفظها في مكان أمين بعيد عن الأعين والتداول، وقد وافق الملك على هذا الرأي وبذلك بقيت إلى يومنا هذا، وَلَوْلا لُطْفُ اللهِ ﷻ الفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ في هذه الحادثة لَأَتَتِ النَّارُ على هذه المخطوطات التي نعتز بها الآن، ويفخر بها الإسبان.

إن الأسكوريال التي بنيت على نحو ستين كيلومترًا من شمال مدريد لتكون ديراً تحتوي على ذخائر ثمينة من مؤلفات أدباء المغرب والأندلس وأطبائهم وفلاسفتهم ، حتى إِنَّ قسمًا كبيرًا من هذه المخطوطات لاتَكَادُ تَجِدُ فِيهِ نسخة واحدة تَحْتَضِنُهَا مكتبات البلاد العربية والإسلامية في وقتنا الحاضر .

حـرق واختـلاس

ومن المعروف أن التاريخ قد سجل حوادث عديدة تدل على دمار مئات الألوف من المخطوطات العربية والإسلامية في إسبانيا سواء كان بواسطة الحرائق أو التسرب أوِ الضياع ؛ فقد أحرق الكاردينال(تيستروس)، في ساحة الرملة بغرناطة خمسة آلاف مخطوطة عربية نادرة مكتوبة بخط أندلسي مشرق وجلها محلاة بالذهب والفضة، وقد دفع أحد المتفرجين قبل البدء بحرقها ثمنًا باهظًا لشرائها ، ولكن الكاردينال رفض أن يبيعها .

أما الكاردينال(سكولا) فقد سرق مكتبة الزبيدي الخاصة بكاملها والتي كانت تشتمل على مخطوطات علمية ثمينة كتبها الزبيدي العلامة المشهور بخط يده عن أساتذته .

وزيادةً عَلى ذَلِكَ حُصُولُ الحَرائِقِ المشهورةِ في عام(1511)، وَالْتِهَامُهَا الآلافَ من كتب التراث العربي .

ومن المدهش أن اليوم الذي كانت تحرق فيه المؤلفات العربية التي أَسْهَمَتْ في تقدم الحضارة الإنسانية كان يُعَدُّ عيداً واحتفالاً شعبياً عظيماً في ، إسبانيا، كما اعترف بذلك إسكولانو .

التأليـف والنـسـخ

ولعل من المفيد لكي يطلع القارئ العربي على حركة التأليف والنسخ التي كانت منتشرة في إسبانيا الإسلامية أن نستشهد بما جاء في البحث الشامل الذي أعده خوليان ميبريا وقام بترجمته الباحث العربي الدكتور / جمال محز فقد ذكر أن عدد الكتب التي كانت تنسخ في قرطبة من الأمور التي تدعو إلى الدهشة وإن كان مما يسهل تقديره إذا أدخلنا في حسابنا أن عدد الطلبة بها كان زُهَاءَ خمسة آلاف طالب وَ كان يجتمع في فصل واحد على مدرس واحد ألف طالب . وَ أن هؤلاء كانوا ينسخون كل ما يلقيه عليهم أساتذتهم من علوم ، وأن مئات من النسوة كن يحترفن نسخ القرآن وكتب العبادة ، وأن بعضهن كن ينسخن القرآن في أسبوعين .

وإذا علمنا فضلاً عَلَى ذلك أن عدداً من الوراقين كان لهم نساخ خصوصيون تُدْفَعُ لهم أجورهم ،وأن المكتبات الخاصة كان لها جماعات من الرجال المختصين لهذا العمل استطعنا أن نقدر عدد الكتب التي كانت تنسخ سَنَوِيًّا في قرطبة بين سبعين وثمانين ألف نسخة تقريباً دون مُغَالاةٍ في العدد ، وأن أوروبا مجتمعة في ذلك

الوقت كانت لا تعطينا مثل هذا الرقم من المخطوطات .

لقد وصلت شهرة مسلمي إسبانيا ومقدرتهم على النسخ والتجليد إلى المشرق، وقد أشاد بذلك المقدسي في كتابه ، وإذا كانت قرطبة قد ضمت أهم المؤسسات الجامعية بفرعيها الأدبي والعلمي، فإن طليطلة اشتهرت كمركز لتعليم العلوم العربية، فقد كان يؤمها علماء أوروبا لدراسة اللغة العربية وآدابها ليتمكنوا من الترجمة والتأليف .

أما إشبيلية فتحتل المكان الأول في العلوم الفنية والموسيقية، فكان عندما يموت مُوسِيقِيٌّ في قرطبة تنقل أدواته إلى إشبيلية لتباع فيها، أما إذا مات عالم في إشبيلية فتنقل مكتبته إلى قرطبة لتباع في أسواق الوراقين .

مخطوطات مكتبة الأسكوريال

وفي إطار البحث الجاد عن كنوز المعرفة العربية، والمخطوطات الإسلامية الـمُشَتَّتَةِ في المؤسسات الثقافية الشرقية والغربية، طموحاً إلى الإحاطة بها وتوثيقها، وتقديمها مدروسة ومنظمة، إلى الأجيال المتعاقبة من مختلف الأمم، أرسل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بعثة علمية إلى إسبانيا في عام (1971م) قامت بتصنيف عدد كبير من المخطوطات العربية النادرة وتصويرها وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ في مكتبة الأسكوريال، والمكتبة الوطنية بمدريد ومدرسة الأبحاث العربية في غرناطة.

وأصدر المعهد المذكور قوائم ضمت أسماء تلك المخطوطات التي حصلت البعثة على صورها من مكتبة الأسكوريال اخترنا منها هذه المجموعة وذلك على سبيل المثال، ليطلع المثقف العربي على الأبحاث العربية المتنوعة التي تحفل بها خزائن تراثه وما ينبثق عنها من فعاليات وطاقات مبدعة :

- ترجمة كتاب النفس لأرسطو لِمَجْهُولٍ بِخَطٍّ مغربي من القرن الحادي عشر وَ عدد أوراق المخطوطة(22) وَرَقَةً من الحجم الكبير .
- كتاب في تركيب الأدوية بحسب أجناسها(لجالينوس) نقل حنين بن إسحاق، بِقَلَمٍ أندلسي من القرن السادس وَ عدد الأوراق(98) .
- المرشد في طب العيون ، لِلْغَافِقِيِّ بِقَلَمٍ أندلسيٍّ سنة (771هـ) و عدد الأوراق(292) .
- تفسير كتاب "المقَالاتُ الأَرْبَعُ" لبطليموس لعلي بْنِ رضوان الطيب المصري بِقَلَمٍ أندلسي سنة(745هـ) ، وَ عدد الأوراق (126) .
- اختصار الجبر والمقابلة لأبي بدر بِقَلَمٍ أندلسي سنة (744هـ)، وَ عدد الأوراق (46) .
- التقريب والتيسير لإفادة المبتدئ بصناعة مساحة السطوح لابن الجياب المرادي بِخَطٍّ أندلسي سنة(767هـ) ، وَ عدد الأوراق(70) .
- كتاب في صفة الأشكال التي تحدث بمرِ طَرَفِ ظل المقياس في سطح الأفق لثابت بن قرة ، بِقَلَمٍ أندلسي سنة(724هـ) .
- منافع الأعضاء لجالينوس ، ترجمة حنين بن إسحاق بِقَلَمٍ أندلسي سنة(539هـ) ، وَ عدد الأوراق (140)
- مقالة في الحواس لعبد اللطيف البغدادي بِقَلَمٍ أندلسي من القرن السابع .
- "الرسالة الفاضلية في علاج السموم وذكر الأدوية النافعة منها النفوس"، بِخَطٍّ نسخي سنة(712هـ) .

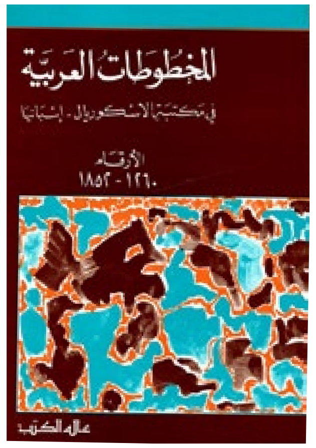

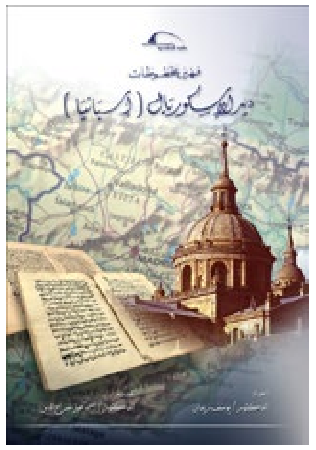

- كتاب في المواليد لزرادشت بِقَلَمٍ مغربي من القرن العاشر .
- كتاب أسئلة وأجوبة في الطب لحنين بْنِ إسحاق بِقَلَمٍ أندلسي سنة(580هـ) وَعدد الأوراق(78)
- شرح فصول أبقراط لابن أبي صادق النيسابوري ، بِقَلَمٍ معتاد من القرن الحادي عشر وَ عدد الأوراق(124)
- تلخيص كتاب جالينوس في القوى الطبيعية، لأبي الوليد بن رشد بِخَطٍّ أندلسي سنة(637هـ) .

والجدير بالذكر أن المعارف الدقيقة والـمُهِمَّةَ التي كانت تشتمل عليها كتب التراث العربي أصبحت أكثر الكتب تداولاً بين الدارسين الأوروبيين والفزيائيين والفلكيين .

وقد أدى الاعتراف الإنساني أخيراً بعمق ما قدمه العرب عبر مسيرتهم الحضارية إلى بروز القيمة العلمية للمخطوطات العربية الإسلامية، وَعَدِّهَا كنزًا زاخرًا بالثَّرْوَةِ الثقافية العالمية التي تستحق كل عناية وتمحيص . ولا ريب أن نشر التراث العربي، قد بات ضرورة ملحة لإثارة الهمم بُغْيَةَ بِنَاءِ مُسْتَقْبَلٍ حَضَارِيٍّ لأمتنا المجيدة.

نُصُوصُ الرِّحْلَاتِ الأَنْدَلُسِيَّةِ مِنْ مَصَادِرِ المُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ

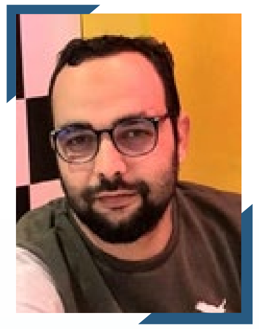

الكتاني حميد[1]

ننطلق في هذه المقالة من فرضية مُفَادُهَا أنّ المُدوّنة الرّحلية العربية الأندلسية تُعدّ مصدرًا تاريخيًّا لدراسة الجانب التاريخي للغة العربية معجَمًا وصرفا وتركيبا ودلالةً؛ فنصوص الرحلات، نصوص تاريخية، ذات صبغة وثائقية تعكسُ تاريخ المجتمع العربي لغةً وثقافةً. وفقَ هذا المقترح تُصبحُ الرحلة وثيقة لغوية تحمل في طيّاتها سيرة تاريخية وجغرافية لمفردات اللغة العربية؛ فالألفاظ والجمل والتراكيب تعابير غير جامدة، بل متحركة عبر الزمان والمكان، تُعبّر عن صور الموجودات في زمان ومكانٍ مُعيّنين، وتتفاعل مع بيئتها كلما تغيّرت الظروف.

في سياق هذه الفرضية، يمكن عَدُّ الرحلة الأندلسية المتأخرة التي قام بها رحّالون أندلسيون في القرون «16-17-18» الميلادية، مصدرًا من مصادر بناء المعجم التاريخي للغة العربية، لكونها نصوصًا تعكسُ جزءًا لا يتجزأ من ثقافة الحضارة العربيّة الممتدّة من المشرق إلى أقصى الغرب الإسلامي، ولكونها أيضًا، تشكّل نقطة التماس الحضاريّ واللغويّ مع شعوب وقوميّات مختلفة، ما يجعلها مُدوّنة غنيّة بالألفاظ الجديدة والدّخيلة على العربيّة.

إذا كان المعجم التّاريخيّ يستند إلى مصادر متنوعة مثل النقوش القديمة، واللهجات العربيّة المتنوعة، والألواح والنّقود، وأصول المعلقات الشّعريّة وشروحاتها، وما كتب في الأدب القديم، وما يتّصل بلغة التّفسير والفقه والحديث والسّنن، وعلوم الصّرف والعروض والبلاغة... فإنّ نصوص الرّحلات العربيّة الأندلسيّة تُعدّ رافدًا من روافد بناء المعجم التّاريخيّ، نظرا لتكوينها اللغويّ المتنوّع والمتعدّد والمنفتح على ثقافات كثيرة.

إن لكل لفظ من ألفاظ العربية سيرة تاريخيّة لها نقطة بداية، ونقطة نهاية، والنّهاية هنا لا تعني موت اللّفظ، بل تعني نهاية معنى أوّل، وظهور معنىً ثانٍ، وثالث، وهكذا تتراكم مَعَانٍ كثيرةٌ للفظ الواحد حسب

تسلسلها التّاريخيّ وتوزيعها الجغرافيّ؛ فالرّحّالة يكتبُ رحلته ويُدوّن ألفاظًا تستعملُ في الأماكن التي زارها، وقد تحمل تلك الألفاظ دلالات مختلفة عمّا تحمله في أماكن أخرى من البلاد العربية.

تمحيصًا للفرضيّة التي صُغناها في مقدّمة هذه المقالة، نتساءل: إلى أي حدّ أرّخت الرّحلة الأندلسيّة للغة العربيّة؟ وما المستويات اللسانيّة التي يمكن أن نرصد من خلالها مسار السيرة التاريخية لمجموعة من ألفاظ اللغة العربيّة والألفاظ الدخيلة عليها؟ للإجابة عن هذين السّؤالين، نقترح نصوص الرّحلات الأندلسيّة الآتية: رحلة «علي المنظري» المعنونة بـ«تقاييد الارتحال في كشف المآل» 1480م، ورحلة «الغسّاني الأندلسيّ» المسمّاة «رحلة الوزير في فكاك الأسير» سنة 1690م، ورحلة «أحمد بن قاسم الحجري» المعروف بأفوقاي، «الشّهاب إلى لقاء الأحباب» سنة 1611م، ورحلة «أحمد بن المهدي الغزّال» المسمّاة «نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد» 1766م. ونقاربها من ثلاثة مداخل، أولها: الرّحلة وتأريخ أسماء المدن. وثانيها: الرّحلة وتأريخ المهمل والمستعمل من الألفاظ، وثالثها: الرّحلة وتأريخ الألفاظ المُعربة.

أولًا- الرّحلة الأندلسية وتأريخ أسماء المدن:

1- «جبل طارق-جبل الفتح: بين القَرْنين 15م و17م»

تعدُّ أسماء المدن والأماكن عنصرًا أساسيًّا في جميع الرّحلات، فالرّحّالة يعبر الجغرافيا متنقلًا بين المدن والجبال والقرى، ويقوم بتدوين أسمائها كما هي في زمانه، وأحيانًا يذكر أسماءها في عصور سابقة عليه. في هذا المنحى نستخلص من نصوص الرّحلات المنتقاة، أنّ الجبل الذي عبر إليه «طارق بن زياد» يُسمّيه الرّحّالة «علي المنظري» في رحلته بـ «جبل طارق»[3]. أما الرّحّالة «الغسّاني الأندلسي» فيسمّيه بـ «جبل الفتح»[4]. والفارق الزّمنيّ بين الاسمين يزيد على قرنين من الزّمن. ويبدو أنّ الجبل حمل اسمين، اسم صاحبه «طارق بن زياد»، واسمًا سببيًّا هو «فتح بلاد الأندلس».

2- مدينة «مجريط - مذريل - مدريد: من القرن 8م إلى القرن 18م»

يذكر الرّحّالة «المنظري» أن المدينة التي تُسمّى اليوم «مدريد» كانت تُسمى «مجريط» في بداية العصر

> «فالأسلافُ قد أسّسُوا ولا يُمكنُ أنْ نطلُبَ منهُم أكثرَ ممّا قدّمُوا، أمّا اليوْمَ فإنّ منْ حقّ العربيّةِ أنْ تطلُبَ أكثرَ ممّا أُنجِزَ رغْمَ أهمّيّتهِ»[2].

الإسلامي في الأندلس، قال في رحلته: «وهاجرت عوائل كثيرة من مَجْريط إلى مرافئ طنجة..»[5] . أما الرّحّالة «أفوقاي الحجري» في القرن «17م» 1611م، فيذكرها باسم «مَذْرِيل» ويردّه في مواضع كثيرة من رحلته، يقول: «ثم مشيتُ إلى مدريل..»[6]، ويقول: «إن كُتّاب الديوان السلطاني بمذريل..» [7]. وتكرار هذا الاسم بهذه الصيغة في زمن الرّحّالة دليل على تداوله على هذا النحو. غير أن هذا الاسم لا يكاد يلبث بهذه الصيغة إلى حدود القرن 18م، فيتطور إلى الصيغة المعاصرة «مدريد» يقول الرّحّالة «أحمد بن المهدي الغزّال» في رحلته: «ومن خارج سور المدينة المدريدية..» [8].

3- «نَهْر تاجة- وادي الطاخو-بانطاخو: من القرن 8م إلى القرن 18م»

في السياق نفسه، يُستفاد من بعض النصوص الرحلية أن «نهر تاجة» الذي ينبع من جبال القبيلة العربية «بني رزين الأندلسية» بمنطقة «أراغون» ويَعْبُرُ مُدُناً إسبانية كثيرة، إلى البرتغال غربا، هذا النهر سُمِّيَ في العهد الإسلامي بـ نهر تاجة الكبير، غير أن هذا الاسم سيعرف تحولا من نسق الحرف العربي إلى نسق الحرف اللاتيني، ذَكر الرّحّالة المَنْظَري «القرن 15م» «نهر تاجة» فقال: «وأما بقايا المسلمين في أرباض نهر تاجة على مقربة من طليطلة، فقد استكانوا إلى واقع الحال بعد سقوطها في أيدي الإسبان..»[9]. أمّا الرحالة الغساني «القرن17م» فقال في رحلته: «ووصلنا إلى وادٍ كبير يُسمونه وادي طاخو»[10] في حين يذكره الرحّالة الغزّال «القرن 18م» باسم «بَانْطَاخُو»، فيقول: «قطعنا الوادي الكبير المسمى بانطاخو وهو آلْمَار بمدينة طليطلة عن يسار عبورنا»[11].

تبيّن هذه الفوارق الشّكليّة على المستوى اللفظيّ أنّ اسم النّهر تغيّر من اللفظ العربيّ «نهر تاجة» إلى لفظ «وادي طاخو»، ثمّ فيما بعد تحوّلَ إلى لفظ «بَانْطَاخُو» الذي نُحِتَ من لَفْظَتَيْ «وادي+ طاخو». ونُرَجِّح في هذا السّياق أنّ اللفظ العربيّ «نهر تاجة» هو الأصل من النّاحيتين اللغويّة والتّاريخيّة، لاعتبارين، أولهما: أنّ المؤرخ ياقوت الحموي يذكره بهذا اللفظ. وثانيهما: أنّ الحروف التي يتشكّل منها حُرُوفٌ متناسقةٌ ومنسجمةٌ مع بعضها كأنّه اسم وُضِعَ وَضْعًا عربيًا. وهذا الطّرح تزكيه العلاقة الصّوتيّة بين «تاجة» و «تاج في العربية إذ توجد بينهما مناسبة معجمية.

ثانيا- الرّحلة الأندلسيّة وتأريخ المهمل والمستعمل:

يُعدُّ مبحث «المهمل والمستعمل» من أهم المباحث المعجميّة التي اهتمّ بها اللغويّون العرب منذ مرحلة الجمع والتّدوين؛ حيث عملَ المعجميّون على تهذيب اللغة من خلال بيان المستعمل منها والمهمل، فكانوا يشيرون أثناء شرح المفردات إلى أنّ اللّفظ مُستعمل أو مهمل، في هذا المضمار يقف قارئ الرّحلة الأندلسيّة على ثروة معجميّة هائلة من الكلمات والعبارات والتّراكيب التي كانت مُستعملة في القرنين 17 و18 الميلاديين. ولم تعد كذلك في يومنا المعاصر، أو أُهملتْ معانيها القديمة وأُلحِقتْ بها معانٍ جديدة.

1- لفظ «الزّمام»: بين الاستعمال والإهمال

ولعل من الألفاظ التي يمكن التّمثيل بها هنا نجد لفظ «الزّمَام» الذي ورد في رحلة أفوقاي، ورحلة الغزّال، يقول أفوقاي: «أمر في بلاده كلها قبل خروجي منها أن يزمّموا جميع الأندلس»[12]، ويقول في موضع آخر «ثم بعد ذلك بنحو السبع عشرة سنة عملوا زماما آخر»[13]. أما الرّحالة الغزال فيقول: «فأدرجتها في الزمام المذكور»[14]. يُستفاد من هذين القولين أن لفظ «زمام» كان مستعملا في المستوى الفصيح في عصر الرّحالتين «القرنين 17-18م» وهو لفظ عربي فصيح، كما جاء في لسان العرب، ويُلاحظ أن معنى «زمام» في الوضع العربي يعني: القيادة والمقدّمة والتحكم. لكنه تطور ليدل على الكتابة والمكتوب، كما يظهر من سياق الجملة في قول الرّحّالَيْن، وهو لفظ شائع الاستعمال في عربية شمال المغرب، يقولون: «زَمِّمْهُ» بمعنى «اكتبه» أو «قيّدهُ». غير أننا نلاحظ إهمال استعمال هذا اللفظ بمعنى «الكتابة والمكتوب» وعودة استعماله بمعنى «القيادة والتحكّم»، نسمع في لغة الإعلام المعاصر عبارات من قبيل: «أخذ زمام المبادرة».

ثالثا- الرّحلة الأندلسيّة وتأريخ الألفاظ المُعرّبة:

تزخر نصوص الرّحلات الأندلسيّة بالألفاظ المعرّبة التي دخلت إلى العربيّة نتيجة لتفاعلها مع نظيرتها القشتاليّة في إسبانيا، ويلاحظ قارئ تلك الرحلات أن كُتّابَها كانوا واعين بقضايا تعريب الألفاظ واقتراضها، فقد كانوا يُعرِّبُون الألفاظ وفق الضوابط الصرفية والدلالية والصوتية والإعرابية، حتى يُصبح اللفظ المُعرّب خاضعا لنسق اللسان العربي ومِطْواعا له، وللتمثيل، نسوق هنا المِثَالَيْنِ الآتِيَيْنِ:

1- لفظ «كَدَش-أكداش» في القرنين 17-18م

ومن أمثلة الألفاظ المُعربة نجد لفظ «كَدَش» الذي يوردُهُ الرّحالة الغساني، فيذكر أنه لقي «في مدريد رجلا راكبا في كَدَشٍ لهُ»[15]. ويوردُهُ الرحّالة الغزّال في قوله: «وفي الغد طلب منا الحاكم الوصول إليه لداره وأتى بِأَكْدَاشٍ»[16]. نلاحظ بداية أن الغساني يذكر لفظ «كدش» بصيغة المفرد. أما الرحالة الغزّال فيورده بصيغة الجمع «أكداش»، وهذا يؤكد أن اللفظ كان شائع الاستعمال في عربية القرنين 17و18م، على مستوى الكتابة.

إن لفظ «كدش» ويُجمع على «أكداش» هو تعريب للأصل الإسباني «Coche- Coches »

ويعني العربَة التي يركبها الإنسان، وتجرُّها الخيول، ويظهر أنّ تعريبه خضع للضوابط الصوتية والصرفية والدلالية والإعرابية، فقد جاء على وزن «أفعال» وهي صيغة صرفية مُطّردة في العربية، ومثلها «قفصٌ-أقفاصٌ». ونسجلُ أن هذا اللفظ لايزال مستعملا إلى اليوم في اللهجتين المغربية والمصرية، وَمِنْ ثَمَّ فهو مُهملٌ في الفصحى المعاصرة، ونادرًا ما يُوظف كتابةً، ومُستعملٌ في بعض اللهجات.

2- لفظ «صُبّاط-صَبابِط» القرن 17م:

يقول الرّحّالة أفوقاي: «قد رأيت رجلا يشتري بعض الصّبابط أو رواحــي»[17] . الشاهد أن لفظ «صبابِط» ومفردهُ «سُبّاطٌ-صُبّاط» مُعرب من الإسبانية «Zapatos» ويقابله في العربية «الحذاء» أي ما ينتعله الإنسان في قدميه، وقد ذكره الرحالة بهذا المعنى، بدليل كلمة «رواحي» ومفردها «ريحيَّةٌ» التي جاءت في سياق مرادف لها. نلاحظ أيضا أن الرّحّالة أورد اللفظ مُعرفا على صيغة الجمع «الصّبابط» وهذا يدل على وعي الرّحّالة بنظام العربية، حيث أخضعه للتعريف ب «الــــــ» تبعا لنظام العربية في تعريف الأسماء، ويظهر من هذه الصيغة المُعرّبة أنها تنتمي إلى الصنف الأول من المُعرّبات التي تستسيغ دخول أداة التعريف «ال» في أولها حسب معيار الجواليقي[18]. ونرجح أن هذا اللفظ شاع في العربية مُعرّبا منذ القرن 17م، وقد ارتبط

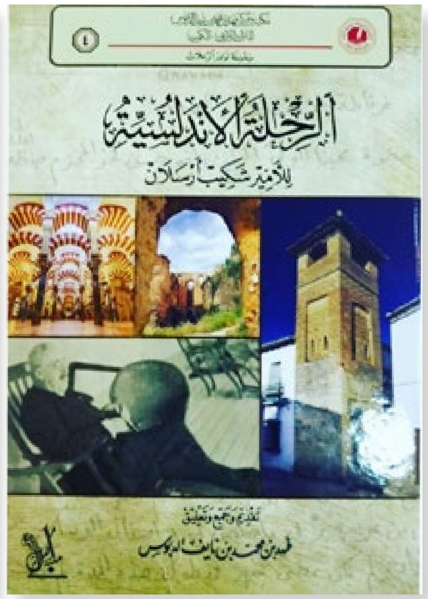

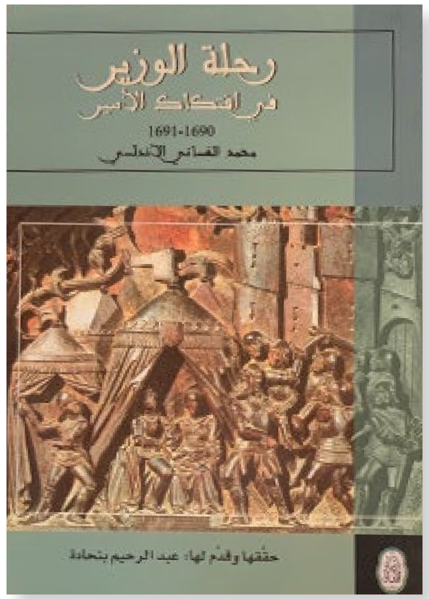

تعريبه بسمة وظيفية تتمثل في الانتعال.

وَصفوةُ القول، إن نصوص الرحلات الأندلسية خاصة المتأخِّرَة مِنْهَا، تكتنزُ في طيّاتها ثروة معجمية هائلة يمكن استثمارها في بناء مادة المعجم التاريخي للغة العربية، وإن الأمثلة التي سُقناها في هذه المقالة القصيرة، هي مجرد نماذج للتمثيل فقط، وليست للحصر، ويمكن للأبحاث المُعمّقة أن تستجلي آلاف المفردات والتراكيب التي لحقت بها مَعَانٍ جديدة ضمن سيرة معانيها المتراكمة تاريخيًّا.

• الهوامش:

• (1) باحث في اللسانيات والإعداد اللغوي، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، المملكة المغربية.

• (2) الطيب البكوش، بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي العربي، ضمن كتاب «المعجم العربي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس» المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ط1، 1989، ص 405.

• (3) علي المنظري، تقايد الارتحال في كشف المآل، مخطوط، اللوحة 02.

• (4) محمد الغساني، الوزير في فكاك الأسير، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص 27.

• (5) علي المنظري، تقايد الارتحال في كشف المآل، مخطوط، اللوحة 06.

• (6) أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي، رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق أحمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص 30.

• (7) المصدر نفسه، ص 50.

• (8) أحمد بن المهدي الغزّال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، تحقيق ألفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو للأبحاث العربية والإسبانية، تطوان، ط1، 1941م، ص 107.

• (9) علي المنظري، تقايد الارتحال في كشف المآل، مخطوط، اللوحة 17.

• (10) محمد الغساني، الوزير في فكاك الأسير، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص 65.

• (11) أحمد بن المهدي الغزّال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، مصدر سابق، ص 43.

• (12) أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي، رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، مصدر سابق، ص 116.

• (13) المصدر نفسه، ص 116.

• (14) الغزّال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، ص 126.

• (15) محمد الغساني، الوزير في فكاك الأسير، ص 53.

• (16) الغزّال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، ص 112.

• (17) رَوَاحي: كلمة تدل على ما يَنْتَعِلُهُ الإنسان في قَدَمَيْهِ، وهي مستعملة إلى اليوم في عربية أهل المغرب، خاصة في فاس ومدن الشمال.

• (18) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1966، ص 35.

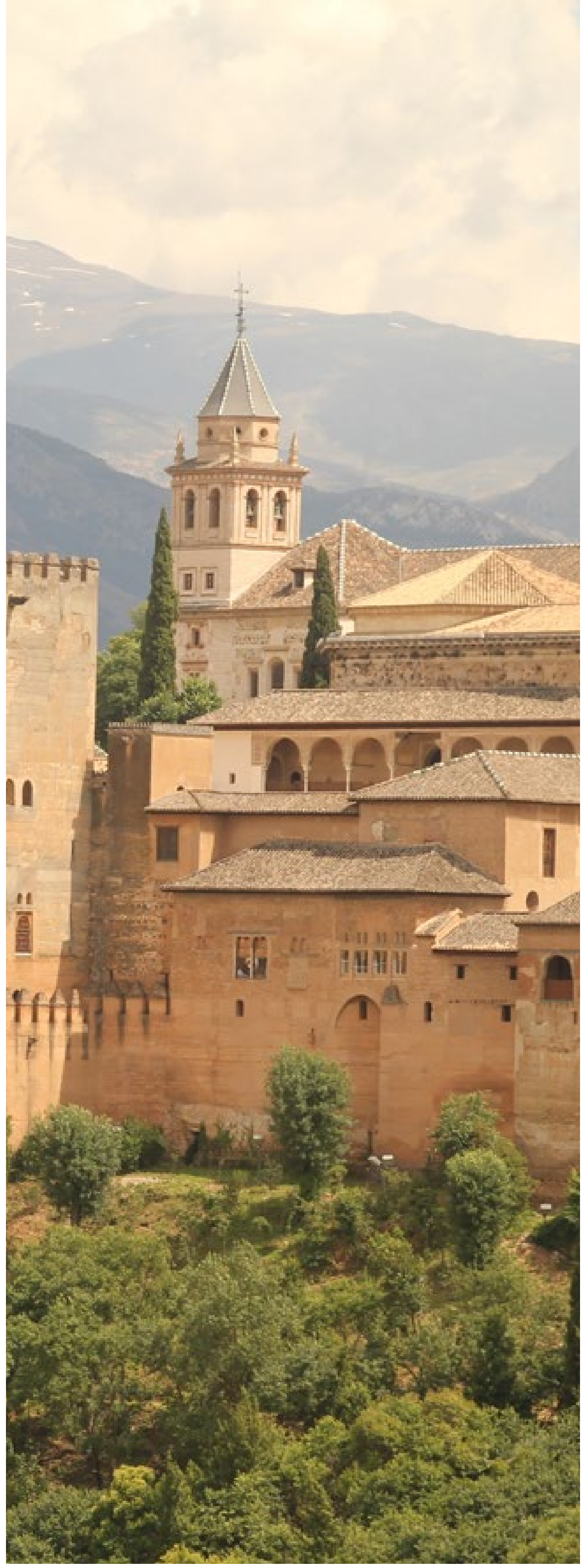

وَحـيِّ الـوَفـاء

هذه، أهزوجة محبةٍ ، وَطَاقَةُ إعزازٍ وإخاء، إلى كلّ أهلنا في وطننا الثاني الإمارات العربية المتحدة. ونبراس مودة، وبطاقة عهد ووفاء إلى إمارة الشارقة الحبيبة..

د . عاصم زاهي مفلح

مِنَ الأُرْدُنِّ تسبقني عَذارى   مِنَ الأشواقِ تلهمني العذارى
كَرائمَ ما تَريمُ لها خِباءً   وما خلَعتْ على صَبٍّ إزارا
هي الغيدُ الحسانُ من الغواني   ولا كشفتْ لعاشقِها خمارا
قصائدَ لو جعلتُ لها مِداداً   نجيعَ القلبِ منّي ، لا النُّضارا
ونجوى همسِها الأنفاس حرّى   وَأَهْدَابَ العُيُونِ لَهَا إطَارَا
ترَيْني يا إماراتِ المَعالي   لِما قصّرتُ أبْدَيتُ اعتذارا
بفكْري والهَوى وعُلا القوافي   أسيرُ وراءَ طيفِكِ حيثُ سارا
يجُنُّ الليلُ لا سَكَناً لديه   ولا وَسَناً أُحيلُ ولا غِرارا
تَأَبَّدَ مَطْلَعُ الأفلاكِ حَولي   ويمضي والنُّجومُ معي سَهَارَى
وأرْتقبُ اللقاءَ بشَوقٍ عانٍ   كَواهُ الليلُ فارتَقَبَ النَّهارا

ولولا الحُبُّ ما ذُكِرتْ ربوعٌ   وَ لا ناجى القريضُ بها جِدارا
وقد قالوا بأنَّ البُعدَ يُنسي   أَ يُنسى البدرُ أشرقَ فاستنارا ؟!
وَلَمَّا فاضَ بالتحنانِ قلبي   ولم أملكْ لِما أجدُ اصطبارا
أتيتكِ يا حبيبُ ومِلْءُ نفْسي   هواكِ فلا يَريمُ ولا يُدارى
وسابقْتُ الرياحَ على رياحٍ   تُصلّي البرقَ أنجدَ فاستطارا
وخلّفتُ المدائنَ والبراري   وجاوزتُ الجنائنَ والقفارا
يحبكِ يا ديارَ الخَيرِ قلبي   ويعشق فيكِ من سَكَنَ الديارا
بَنوكِ أيا ديارَ المجدِ أهلي   وهمْ من توّجوا العَربَ الفخارا
وهم مَنْ إنْ دعتْ جُلّى أجابوا   فكانوا في بني الدُّنيا الخيارا
وإن سُئلتْ بأهْليها المَعالي   رأيتَ بَنانَها لهُمُ أشارا
كماةٌ طوّقوا الآفاقَ عِزًّا   وسادوا الأرضَ وامتلكوا البحارا
فوارسُ أسْرجوا الأمجادَ خَيلاً   وقد جعلوا الرماح لها غِرارا
وقدْ تَخِذوا دِلاصًا سابِغاتٍ   لَبوسَ الدَّهْرِ وانْتَعلوا الشِّفارا !
أولئك أهْلُنا شادوا وصانوا   ربوعَكِ أنْ تُضامَ وأنْ تُضارا
فغَيْرُ الخَيرِ لمْ يطْرقْ ثَراها   وليسَ سِوى كريمِ الغَيثِ زارا
ولم تعرفْ سِوى الطُّهْرِ البَوادي   ولم تَشهدْ سِوى العِزِّ الصَّحارى
وآلُ القاسِمِيِّ كرامُ قومٍ   وهم فخرٌ لمن يرجو افتخارا
لواءُ الماجِدينَ أُولي المَعالي   وأحْماهُمْ وأمْنعُهمْ ذِمارا

وأوفـــاهـــمُ وأصْـــدقُـــهـــمْ وداداً ... وأسْــمـــاهُـــمْ وأعــظَــمُــهــمْ نِــجـارا
أيـــادٍ بـــالـــنـدى تـــجـري بُـــحـورًا ... نُــشَــاهِــدُهَــا وَأَنْـــهَـــارًا غِـــزَارَا
أَشَـــارِقَـــةَ الــمَـــكــارمِ والــمَـعالي ... تَـمَـلَّـكَـنِـي الـهَـوَى فَـغَـدَا دِثَـــارَا
فـأنـتِ الـحِـبُّ إنْ أنْــشُــدْ حبيباً ... ومَـهـوى الـقـلـبِ إذْ أبـغـي مَــزارا
يـــداكِ الـبلـسَـمُ الـشَّـافـي لِـمـا بي ... إذا الآسِـــي بُـعَـيْـدَ الـجَـسِّ حَـــارَا
فتَشْفـيـهـا وتُـذهـبُ غـيـظ قلبي ... إذا مـــا جـنـد نـائـبـة أغـــارا
ألـسـتِ مَـــنِ اصْـطـفـاكِ الـعِـزُّ تـاجـاً ... وكـنْـتِ بمعْـصـمِ المجْـدِ الـسِّـوارا ؟
وكـنــتِ عـلـى تـرائِـبِـه وسـامـاً ... وكـنْــتِ بـمـفْـرِقِ الـعـلْـيـاءِ غـارا ؟
بـسـلْـطـانِ الأمـيـنِ، بـلـغْـتِ شأواً ... بـعـيـداً لا يُــــرامُ ولا يُـجـارى
بــهِ طـاوِلـتِ هـامَ الـمَـجْـدِ زَهْـواً ... فـبـورِكَ مَـــنْ رعـى لـلـعِـلْـم دارا
وبـــورِكَ مَـــنْ أقـــامَ لــهُ صُـروحـاً ... وبـــورِكَ مَـــنْ أضــاءَ لــهُ مَـنـارا
فــإنَّ الـعِـلْـم عُــدَّةُ كُـلِّ قَــومٍ ... أرادوا بـــاذِخَ الـمـجْـدِ الـقَـرارا
حَـكـيـمٌ يـصْـطـفـيـهِ الـمـجْـدُ تـاجـاً ... إذا مـــا كـــان مُـتَّـخِـذاً شِـعـارا
إمـــامٌ يُـسـتَـمـدُّ الـهَـدْيُ مِـنْـهُ ... فـمَـنْ وافـــاهُ مُـقْـتَـبِـسـاً أنــارا
سـلـيـلُ الأكْـرمـيـنَ أبـــاً وَجَـــدًّا ... وأكْـرمُـهُـمْ وأمـنـعُـهـمْ جِــوارا
بُـنـــاةَ الـمـجْـدِ حـيّـاكـمْ إلـهي ... وزادَ ربـــوعَ بَـلْـدَتِـكُـمْ عَـمـارا
وجـــادَ وأسـبـغَ الـنُّـعـمـى وأضفى ... بُـلـهْـنِـيَـةً وعِــزًّا وازدِهــارا
وقِـدْمـاً قـالـتْ الـحـكـمـاءُ فـصلاً ... مُـبـيـنـاً لا يُـــرَدُّ ولا يُـمـارى:
إذا مـا شِـئـتَ عـزَّ الـدَّهـرِ فـاجْـعلْ ... مــنَ الـحُـرِّ الـكـريـمِ أخـــاً وجـــارا
ومَـــنْ صـحِـبَ الأمـاجِـدَ عُــدّ منْهمْ ... ومَـــن لـــزِمَ الـهـدى أمِـــنَ الـعِـثـارا
حـنـانَـكِ إذ مـلـكـتِ الـقـلـبَ رِفْـقـاً ... بــهِ فـالـشَّـرعُ أوصــى بـالأُسـارى
فــإنْ كـــان الــــوداعُ فـــلا تـقـولـي ... فـتُـذْكـي فـــي مَـقـالَـتِـهـا أُوارا
ومَــنْ يـمـلـكْ جـــواهُ هـــوى حـبـيبٍ ... تَـحـلّـى الـقَـيْـدَ واسـتَـحـلـى الإسـارا

رسالة إلى رئيس التحرير

د/ مبروك زيد الخير

بسم الله الرحمن الرحيم
والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله الأبرار، وصحبه الأخيار.

إلى أستاذنا المبجّل، فضيلة العالم الأريب، والأديب اللّبيب، واللّغويّ الآخذ من كلّ فنّ بنصيب، سماحة الدّكتور امحمّد الصّافي المستغانميّ:

لا يسعني وقد قرأت مقالكم الرّاقي ، إلّا أن أزفّ إلى معاليكم، سوانح شكراني، وعوارف عرفاني، بما تضمّنه المقال، من مضمون رفيع، وأسلوب بديع، نفضتم به الغبار عن التّراث وعباقرته الضّخام ، الّذين ملؤُواْ الدّنيا وشغلواْ النّاس ، بما دبّجواْ من تصانيف، وما خطّته أيمانُهم من تآليف، وقد جئتم كما قلتم، بلُبّ اللّباب ، وقدّمتم للقرّاء، معتصر عُصارته، ورحيق خُلاصته، في سُؤالكم الوجيه، عن الفصاحة بين الماضي و الحاضر، حيث إِنَّ البون شاسعٌ، والفارق سحيقٌ ، بين الماضي المُشعّ بالرّوعة والذّوق، والإبداع الأخّاذ ، فيما كان طبعا من غير تكلّف، وسجيّة من غير تزلّف ، جعلت أساليب الماضين، تتقاطر جمالا وبهاء وشائقيّة ، وبين حاضرنا المُبْتَئِسِ[1] التَّعِسِ[2] الّذي نعيش فيه غربة اللّسان ، وضيق الأعطان ، وضحالة الفكر والعبارة ، وَإِسْفَافَةَ الرّمز والإشارة ، ممّا يعجّ به هذا العصر المتهالك العييّ المهين، والّذي لا يكاد يُبِين ، وأنّ فصاحة العلّامة أبي مهديّ الثّعالبي والجيل الذّهبيّ الّذي عمّر الكون الفسيح ، بما رسّته الحضارة الاسلاميّة من تراث فصيح ، ليُؤكّد أنّ العربيّة، لم تكن عاجزة عن الإبانة، ولا متقاعسة عن الرّيادة ، ولكنّ أبناءَهَا قعدُواْ بها عن السُّؤدد ، وفرّطواْ في تاريخها الأمجد ، وأصبح بيانُها عبر العصور ، يُومضُ ويخْبُو ، وينهضُ ويكْبُو ، وأضحتْ نُخبُها كما قال الشّاعر ، في تعبيره عن أليم المشاعر:

يتكلّمُونَ مَعَ الفَرَاغِ فَمَا هُمُ
عَجَمٌ إذَا نَطَقُواْ وَلَا أعْرَابُ

سيّدي الدّكتور المبجّل: لقد تمتّعتُ فعلًا بما يعجُّ به مقالكم البليغ ، من الأسلوب الرّاقي ، والدّيباجة النّاصعة، والعبارات الأدبيّة الماتعة، وسعدتُ بدعوتكم الرّضية، للوصل بكتب التّراث الغنيّة، و يا ليت الدّهر يمُنُّ علينا بصحوة أدبيّة، ونهضة لغويّة، وعودة عبقريّة، إلى ذلك المعين الصّافي، الّذي خطّت معالمه يراعة الدّكتور الصّافي، فأبدع فيه وأمتع، وقدّم لنا فيه المُفيد الأرفع ، وكان فيه مُجِيدًا ولا أروع ..

(1) البئيس :هو الشجاع القوي – وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد
(2) التَّعِسِ من باب تعب وهو الأفصح والأصح

زُمُرُّدَةٌ لِتَعَبِ العالَم

شعر/ عبد الحميد حسن

لِسَيِّدَةٍ في أَعالي المَجاز ... تَرِفُّ مَصابِيحُها (المُتْرَعَهْ)
يُرافِقُها بَجَعُ الأُمْنِيات ... يَحُفُّ سَواحِلَها (الْمُشْرَعَهْ)
وَيَسْكُنُها سِنْدَيانُ الحَنِين ... يُناوِلُها الدَّرْبَ (وَالأَمْتِعَهْ)
يُوَشِّحُها الغَيْمُ (أَسْماءَهُ) ... فَتَنْهَضُ في ظِلِّها (أَشْرِعَهْ)
كَعُصْفُورَةٍ في مَهَبِّ الصَّباح ... تُرَتِّلُ مِنْ شَوْقِها (مَطْلَعَهْ)
كَنَهْرٍ على شَفَتَي الحَياة ... تَلُوحُ مَواعِيدُهُ (المُزْمَعَهْ)
كَأَرْصِفَةِ الرُّوحِ تَتْلُو المَدى ... رَبِيعًا يَمُدُّ لها (أَذْرُعَهْ)
غَرِيبٌ يُنادِمُهُ الانْتِظار ... يَعِنُّ لَهُ مَنْزِلٌ (ضَيَّعَهْ)
قِطارٌ تُطَوِّحُهُ الذِّكْرَيات ... وَبَرْدُ المَحَطّاتِ قَدْ (أَوْجَعَهْ)
وَصَيْفٌ بَعِيدٌ بِهِ دَمْعَةٌ ... وَزَهْرُ الصَّباباتِ قَدْ (شَيَّعَهْ)
على شُرْفَةِ الوَقْتِ نارِنْجَةٌ ... تُراقِبُ أحلامَها (المُسْرِعَهْ)
تُحَرِّرُ تَلْوِيحَةً في الفَضا ... فَيَنْشُرُ جِذْعُ الرِّضا (أَفْرُعَهْ)
هي المَرْأَةُ، الطَّلُّ، سَطْرُ النَّدى ... حَفيفُ الحِكاياتِ بَيْتُ (الدَّعَهْ)
تُناوِلُني في الرِّياحِ اسْمَها ... فَيَحْصُدُ مِنْ وَحْشَتي (مَزْرَعَهْ)
هِيَ اللَّونُ في ضَحَكاتِ البُيوت ... وَلُؤْلُؤَةُ البَهْجَةِ (المُودَعَهْ)
هِيَ الشِّعْرُ، أَجْنِحَةٌ لِلإِياب ... مِنَ الحُزْنِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ (نَقْطَعَهْ)
هِيَ المَاءُ في قَسَماتِ الحَياة ... وَخُطْواتُنا الخُضْرُ في (الزَّوبَعَهْ)
لَها وَالدُّرُوبُ انْتِظارٌ طَوِيل ... وَقَلْبٌ هُنا وَالأَسى (صَدَّعَهْ)
تُسافِرُ أَيَّامُنا الذَّابِلات ... وَ(تُورِقُ) في راحَتَيها (سَعَهْ)

هيئة الشارقة للكتاب
Sharjah Book Authority

معرض الشارقة الدولي للكتاب
SHARJAH INTERNATIONAL BOOK FAIR

نلتقي بكم في جناح
مجمع اللغة العربية بالشارقة
في معرض الشارقة الدولي للكتاب
في دورته 41

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

إصدارت مجلة العربيّة لساني السابقة

المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول
هاتف : 400 60 51 6 971+ , فاكس : 410 60 51 6 971+ , ص.ب : الشارقة ، 1973
البريد الإلكتروني : info@alashj.ae , الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

جائزة الشَّارقة للدّراسات اللّغويّة والمُعجميَّة

Sharjah Linguistic and Lexical Studies Award

"تطلّ علينا وعلى جميع المثقّفين جائزة الشارقة للدراسات اللغويّة وَالمُعْجَمِيَّة في دورتها الخامسة بشعارها الجديد لتستمر في دعمها للباحثين في مجال اللغويات والمعجميّات.

سَيُعْلَنُ عن أسماء الفائزين يوم الأحد الموافق 18 ديسمبر 2022، الذي يُصادف الاحتفال باليوم العالمي للغة العربيّة"